

# الوحدة والوحدة والوحدة

بسم

بسم / رئيس التحرير

وتحسسى هذه المخاطر منذ زمن بعيد ، فراح يعمل لها ما وسعه العمل ، واستطاع بعلمه ونكاته أن يسيطر على الأرض العربية كلها ، ويعمل فيها تقطيعا وتزيقا ، وأن يقم لكل جزء منها كيانا قائما بذاته ، حتى جاءت الصهيونية المالية التي كانت تسيطر على أهم اقتصادياته وصناعاته ومختلف وسائل الدعاية والنشر فيه ، فاستغلت خطته لصالحها ، وراحت تعمل به لإنشاء اللجنة الأولى لقيام وطن قومي لليهود على أهم جزء استراتيجي من الأرض العربية ، وأخذت تسخر موارده الاقتصادية ، والمسلحة لدعم هذا الوطن القومي الغريب بدعوى المحافظة على مصالحه ، وبدعوى

مساعدته في زيادة تزيق الأرض العربية ، وعدم السماح للعرب بتنبية مواردهم ، وتوحيد صفوفهم ، ونهوضهم من هذا التزيق والشتات على أراضهم التي أصبحت وكأنها أراض مختلفة ، للحدود التي تحدها ، والانظمة التي تباين بينها ، والقوانين التي تفرق بين كل جزء من أجزائها ، والداستاتير التي تختلف بين كل جزء وجزء من

أجزائها ، ثم لانواع الحكم في كل بلد ، وللقيد الصارمة المفروضة بين هذه الحدود ، والتي لا يكاد يرى مثلهما بين البلدان الأجنبية في العالم ، ولهذا نشأ عالم عربي غريب ، يعيش على أرض عربية واحدة ، وله تاريخ وتراث واحد ، ومشكلات وآمال وآلام واحدة ، لكنه يعامل بعضه البعض الآخر معاملة الأجنبي ، بل معاملة العدو في كثير من الأحيان ، بل تقوم الحروب بين بعضه والبعض الآخر ، وتشتد العداوات ، وترتفع المزايدات . ويعيش عالم عربي يعيش بعضه على الكشاك ، والبعض الآخر على التخمة ، يتقلب بعضه على الطوى ويتقلب البعض الآخر على الحير ، يتخبط بعضه بالجبل ، ويتخبط البعض الآخر في النظريات التي شلت عقله ،

الذين يؤمنون بالوحدة ، ويعملون لتحقيقها ، ويتمعن أقوالهم بالأفصال هم الوجوديون بلا شك ، والوحدة هي الدعوة القواصلة بالأقوال والأفعال لتوحيد أبناء الأمة العربية ، وإبناء الأمة العربية هم الذين يعيشون على رقعة كبيرة شاسعة من الأرض العربية ، ذوو حضارة عريقة ، وتراث ضخم ، وتاريخ مشرق في القدم ، ولغة غنية بالمعاني ، تجمعهم مشكلات واحدة ، وآمال واحدة ، وإيمان واحدة ، والوحدة تعني أساسا توحيد البلاد العربية المبرقة ، ولم شفتها ، وتوجيه جهودها لخدمة القضايا الأساسية التي نشأت من جراء الفقرة والتمزق والشتات ، حيث أدى بهم هذا الشتات والتمزق والفرقة إلى الأطماع التي أخذت تحيط بهم من كل جانب وصوب ، ذلك أن الأرض العربية غنية بمواقمها الاستراتيجية العظيمة ، وغنية بمواردها الطبيعية ، وغنية بثرواتها التي أخذت تتفجر من باطن الأرض ، فالمواقع الاستراتيجية تتحكم في كثير من البحار والممرات المائية ، والموارد الطبيعية تؤثر على التجارة العالمية ، والثروات الفنية في باطن الأرض تستطيع السيطرة على الصناعة ، بل وغير الصناعة في كثير من البلدان المتقدمة ، ولهذه الأسباب ركزت الدول القوية على المنطقة العربية ، ورمت بكل ثقلها للإبقاء على فرقته وتزقيها وتجزئتها ، بل وزيادة هذه التجزئة والتمزق والفرقة ، وكانت المواقع الاستراتيجية هي الدافع القوي للتركيز على تزيق الأرض العربية ، وزاد هذا الدافع دافع مهم وهو الثروة البترولية وغير البترولية ومشتقات الثروة البترولية ، فتضاعف الدافع ، وازدادت الأطماع ، وعظمت المحاسنير من هذه الأرض ، التي لو توحدت لاستطاعت استغلال ثرواتها لصالح أبنائها ، ولتطوير صناعاتها ، ولأصبحت من الدول العظمى المهمة على هذه الكرة الأرضية ، لكن الغرب الواعي أدرك هذه الأسباب ،

ومزقت تفكيره ، يعيش بعضه في مرض الفاقة ، ويعيش بعضه الآخر في مرض الترف حيث الشكر والسل والقلب ، يعيش بعضه على الاستجداء حتى من أعدائه ، ويعيش البعض الآخر على فئات موارده الضخمة التي يلقبها له المستغل بعد أخذ نصيب الأسد منها ، يعيش بعضه على شدة البطون ، ويعيش البعض الآخر على موائد القمار ، يعيش بعضه على دوي الدافع وازير الرصاص ، ويعيش البعض الآخر على صخب الجاز ، وقمعة الكؤوس ، يعيش بعضه على جبهات القتال ، ويعيش البعض الآخر على جبهات أخرى ربما تكون أكثر صخباً من جبهات القتال ، فهنا قتال وهناك قتال ، وهنا صخب وهناك صخب ، وهنا استنزاف للجهد والمال ، وهناك تخطيط واستجداء للمال الذي شكت موارده ، أموال تتبخر في غير محلها وبطرق تدعو الى الرثاء ، وأموال تستجدي للسود أمام السرطان الذي يريد ان يستشري في الأرض العربية كلها ، وبين هذا وذاك فواصل هيمية ، وحدود مصطنعة ، وكل أمام العدو سواء ، ذلك ان العدو لا يفرق بين الجاد والهازل ، لأنه ينفذ مخططا جديدا ، ولا يعيق هذا المخطط جساد أو هازل ، فهو يطبع بالذي إمامه أولا ، سواء كان جادا أو كان هازلا .

هذا هو وضع الأرض العربية ، وهذا هو وضع الكيانات العربية التي لا ترمي ببصرها وراء الصدود المقامة لها ، والشاعر العربي يقول :  
من حلفت لحيه جاره فليسك الماء على لحيته  
وربما بدأت بعض الكيانات العربية تريق الماء على لحائها استعدادا لحلق لحائها ، وإلا فما بالها لا تنظر الى ما يجري للأرض العربية التي هي جزء منها ، ولماذا لا تبصر بالذي ينفذ وراء حدودها الوهمية ؟

الوحدة التي هي السبيل للتعرض بالآلة المصرية من تزيقها وتآخرها أفرغها الوجوديون المحدثون من كل محتوياتها ، فأصبحت شعارا من الشعارات الفارغة ، يرددونها بالسننهم وقواهم ، ويفلسفونها بآلاتهم وكتاباتهم ، لكنهم لا يؤمنون بها في قرارة أنفسهم ، وإنما يرددونها في المناسبات لامتصاص نفة الشعب ، أو لغرض من الأغراض التي يخدمونها بها مصالحهم الخاصة ، حتى صارت هكذا ، شعارا خاليا من كل معنى ومن كل محتوى ، وإلا ترى كيف نعلل الذين يرددون الوحدة بالسننهم ، وفي نفس الوقت يحاربون الذين يعملون للوحدة ويدعون لها ، بل ويشكون في كل عمل وحدوي جساد ؟ ولماذا يدعون أنهم وجوديون ، ويرددون شعارات تتنافى والوحدة ؟ وكيف نعلل أذعاهم للوحدة ، وهم يدعون الى مبادئ لا تتعايش والوحدة ؟ والإدهى من ذلك أننا نرى البعض منهم وقد انجز الى مزالق خطيرة

في تحريض الأقليات التي انصهر بعضها ، وكاد البعض الآخر ان ينصهر ويذوب في الأمة العربية ، تحريضها على المطالبة بعزل نفسها عن الأمة العربية ، فهل تحريض الأقليات التي تعيش بين أبناء الأمة المصرية وتتصاهر معها ، هل تحريضها على العزلة يخدم الوحدة العربية ؟ ومن الذي يقول ان الدم العربي الخالص ما زال معزولا ولم يخلط بالدماء الأخرى على الأرض العربية التي يطمع فيها الأعداء ؟ ان العرب لا يؤمنون بالعنصرية ولهذا اندمجوا في كثير من الشعوب الأخرى ، وكثير من الأقليات في الأرض العربية انصهرت وذابت واندجمت مع العرب ، لغة وحضارة وتراثا وتاريخا ، لكننا اليوم نرى مدعي الوحدة يستوردون نظريات ومبادئ ويشوهونها ، ويريدون تطبيقها على الأرض العربية ، وبهذه النظريات والمبادئ التي لم يستوعبها يحاولون جز الأقليات في البلاد العربية الى المطالبة بإقامة كيانات لها ، وخلق عداوات بينها وبين أبناء الأمة العربية ، وهذه الأقليات أصبحت مندمجة في البلاد العربية بل أكثرها أصبحت عربية . هؤلاء بعض مدعي الوحدة ، أما البعض الآخر الذين يدعون العروبة ، ويدعون الهنادة بالوحدة فلم يعملوا شيئا حين واتهم الظروف وسنحت لهم الفرص ، بل انهم بتصرفاتهم وأعمالهم عمقوا التجزئة ، وأصلوا الفقرة ، ولعل السبب الرئيسي هو المبادئ النظرية التي استوردوها من الخارج دون وعي ، وهذه المبادئ تشجع على الانقسام وتساعد على الفقرة اذا لم تدرس بوعي ، فهي مبادئ قابت أصلا في ظروف تختلف كل الاختلاف عن ظروفنا ، بل أنها نفسها اختلفت في التطبيق بين بيئة وبيئة ، وأجريت عليها تعديلات تتناسب وكل بيئة من البيئات المختلفة ، بل أثبتت الأحداث فشل اهم عناصرها وهي « محاربة النزعات القومية » ، فالقومية أثبتت أنها هي الأهم وهي الأقوى .

إن الذين آمنوا بهذه النظريات والمبادئ من العرب ، وأخذوا ينادون بها لم يستوعبوا ، الأمر الذي أدى الى تخبطهم فيها ، وإلى الإساءة اليها كنظريات ومبادئ فكرية عظيمة هدفا تحقيق العدالة بين مختلف الطبقات في بلاد تحكمت فيها المطامع القومية ، واستغل فيها الفقير ، وضاعت منها القيم ، وكادت الأخلاق أن تموت ، بينما كان الغروص ان يستفيد منها المثقون العرب بعد دراستها دراسة واعية عميقة ، وان يأخذوا منها ما يتناسب والأمة العربية ، وظروفها التي تعيشها ، لا ان يخبطوا فيها ، وتروح كل فئة تتمسك بما استوعبت منها وتريد ان تفرضه فرضا على غيرها ، وتدعي كل فئة من هذه الفئات أنها هي التي استوعبت هذه النظرية ، وأنها هي التي على حق فيما تدعي ، وتروح كل فئة تفلسف أفكارها وتشكك بالفئات الأخرى وهكذا ، حتى

راينا هذه الفئات تكثر وتعمد ، بل ولا تريد ان تتفق على لقاء . والمؤلم ان أكثر هؤلاء من المتخفين العرب ، ومن غير المتخفين من العرب يفهم التساريخ العربي والتراث العربي ، والمبادئ الخلقية السامية التي يفرض بها التراث العربي الضخم ، إذا لماذا يروح مفتقون يخبطون في استيراد المبادئ والنظريات دون الرجوع الى المبادئ والنظريات التي يفرض بها تاريخهم ، ويشمل عليها تراثهم ، بل لماذا يضربون صفحا عن كل ذلك التراث وينادون بنظريات ومبادئ لا تتناسب وطبيعة امتهم ؟

كما نودّ من صميم قلوبنا ان يعي مفتقونا تاريخهم وتراثهم ، ثم يدرسوا المبادئ والنظريات الأخرى ويعونها ، ويستمدون منها ما يفيد امنا ، وما يدفعها إلى الخروج من التمزق والفوضى التي تعيشها ، لا ان يزجوها نزقاً وفوضى في هذا التخطيط والفلسف والضياع ، حتى اصبحنا نشاهد أبناء امنا في بلبلة فكرية ، لا يعرفون الى اين يتجهون ، ومن يتبعون ، ومن يصغرون ، لان كل فئة تدعي انها على حق ، وتشكك في الفئات الأخرى الى حد الخيانة والاتهام بالشر ، وما درى هؤلاء المفتقون - إن صح أنهم مفتقون - أنهم اصبحوا أدوات هدم وتخريب ، وأدوات فرقة وضياع ، وأنهم اصبحوا عوناً للأعداء الذين لا يريدون أكثر من الضياع العقلي ، والتذبذب الفكري بين أبناء الأمة العربية ، حتى يتروكا العمل الجاد ، والدعوة الى الوحدة ، لأن الدعوة الى الوحدة هي الخطر الأكبر بالنسبة للأعداء ، ولهذا تراهم يساعدون بالإبلاء ، أو على المكشوف ، كل دعوة تؤدي الى الابتعاد عن الفكر العربي المسند من التاريخ والتراث العربي ، ويساعدون كل دعوة تدعو الى انفصال الاقليات عن العرب ، والى ابقائهم واتشاء كيانات لهم حتى لا يندمجوا في العرب ، مع العلم أنهم يدركون أن الأرض العربية اليوم ، الممتدة من المحيط الى الخليج كانت تضم فئات أخرى غير عربية أصلا لكنها اندمجت وذابت في العرب واصبحت عربية لاشتراكها مع العرب حضارة وتاريخا وتراثا ولغة وأموالا واباني ، أي ان كل المؤامرات الصهيونية أصبحت مؤامراتها ، بل أنهم هم العرب اليوم الذين تنتظر الأمة العربية على ايديهم خلاصها من المطامع المحيطة بهم ، ومن الصهيونية الصالية التي تدعو الى تزييقهم وتقسيمهم ومن ثم تشتيئهم وابادتهم اقتل محلمهم ، والصهيونية تدرك عن وعي بان ليس لها بقاء ما بقي العرب موحدين اقوياء ، ولعل مفتقينا المصرب يتكثرون المخططات الصهيونية ، والمؤامرات الكثيرة التي وضعت ضد العرب ، وضد الأمة العربية ، وضد الوطن العربي منذ عهد بعيد ، بل لعلهم يتكثرون التفسير الصهيوني السري الذي عثر عليه صفحة تونشر عام ١٩٥٧ بالفلسفة العربية في كتيب اطلق عليه ( خنجر اسرائيل ) لعلهم يتكثرون ما جاء في هذا التقرير من مخططات رهيبة ربما

تحقق بعضها الآن ، لعلهم يتكثرون ، وان لم يكونوا يتكثرون فليعلم ان يعودوا الان الى هذا التقرير ويروا الخطط الرهيبة التي تعمل الى الصهيونية بدعم الغرب ومساندته على كل المستويات ، فسيجدون ان الصهيونية العالمية تعمل على ايقاظ الاقليات في البلاد العربية ، وتنشيطها ومساندتها على الانفصال عن المصرب ، واقامة دويلات لها ، تسندها الصهيونية العالمية ، ويدعها الغرب ، لتزييق العرب ، وتشتيئهم ثم تذيبهم والقبض عليهم ، بل لعل مفتقينا العرب يتكثرون المؤامرات الذي اقيم في العام الماضي بطهران وافتحه كبار المسؤولين في الحكومة الإيرانية ، وهو اول مؤتمر يقيمه الآثوريون في الخارج ، ويدعو الى انشاء وطن قومي للآثوريين بدعم من الدول الغربية ومن الصهيونية العالمية ، على غرار المؤتمر الذي اقيم في مدينة سال بسويسرا عام ١٨٩٧م وانطلقت منه الدعوة الى انشاء وطن قومي لليهود . فهل يا ترى نسي مفتقونا هذه الوقائع والاحداث ، حتى نراهم ينجرفون وراء نظريات ومبادئ لا تتناسب واطشاعهم ، ويروحون يدعون فيها بغير وعي وادراك الى تحريض الاقليات التي تعيش في الاوساط العربية لتكاد ان تنصهر فيها ؟ يدعونهم الى الانفصال ، واقامة كيانات لها ، منفصلة عن الكيان العربي ؟ الا يكفهم هذا التمزق الذي تعيشه الأرض العربية ؟ ومع ذلك يدعون أنهم وحدويون ؟ فهل تتم الوحدة عن طريق التمزق والفرقة ؟ وهل تقوم الوحدة عن طريق فصل الاقليات وتعميق العداءة بينها وبين العرب ؟ إذا عليهم ان يعيّنوا التجزئة التي تقوم الآن بين البلاد العربية ، والتي اقامها ورعاها الاستعمار ، بحجة ان كل بلد من هذه البلدان لم يكن عربيا في عصر الظلمات السحيق .

ان الوحدويين الحقيقيين ، هم الذين يؤمنون حقا بالوحدة ويعملون لها قولا وعملا ، اما اولئك الذين يتخبطون في تناهات فلسفية ونظريات ومبادئ مستوردة ، ويزيدون الفكر العربي تمزقا وتذبذبا فانما يتخذون الوحدة شعسارا يرفعونها في الهواء كلما ضغطت عليهم الجماهير العربية الامة بوحدةها التي لا تريد لها بعبلا ، لانها تترك ادراكا حقيقيا بان الوحدة هي طريق خلاصها من هذا الضياع الذي تعاني منه ، وتعرف تماما الذين يعملون للوحدة ، ويهتدون لقيادها على اساس ثابت متين ، كما انها تعرف بوعيا القطري اولئك الذين يتخذون شعار الوحدة لتفضيل الجماهير وهم لا يعملون للوحدة ، بل ان النظريات والمبادئ التي استوردوها اخيرا انحرفت بهم عن طريق الوحدة اللالاب الاصيل « فلما الزيد فيذهب جفاه واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » .

عبد الذكريا الزعبي



مروان

# غسان كفنياني وطريق الجهاهير

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الواعية المنظمة ، وإمكاناتها لن يفت في عضدهم سقوط الشهيد تلو الشهيد ذلك ان هذه الجماهير التي دفعت غسان وغيره الى الصدارة تستطيع ان تدفع الالاف من امثاله . ولن يؤثر في مسيرة الثورة ان يسقط على الدرب في كل يوم شهيد جديد .

ان عقلية التسلط الفردي ، المصابة بالخواء الفكري ، والتي لاتزال تؤمن بعصر الخوارق ، هي وحدها التي لا تقدر دور العمل الجهاجي ، وقدره الجماهير على خلق الظروف الموضوعية اللازمة لتحقيق ارادتها . لذا فسوف تبقى « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » واحدة من الفصائل المتقدمة للثورة العربية وسوف يبقى الفرد مهما علا شأنه ، وتفرد في عطائه ، مجرد عضو مساعد من جسد متلاحم الحلقات .

ومن جهة أخرى ، فانه يحسن بالمثاليين ، الذين يترحمون على القيم والإخلاقيات في حربنا مع عدو لا يقيم للاخلاقيات وزناً ، ان يتخذوا من استشهاد غسان درساً نافعا ، ذلك ان عدونا لا يتورع عن انتهاج كل الوسائل في سبيل طعن الذات العربية كذلك فانه يتوجب على الذين اوصدوا حدودهم في وجه العمل الفدائي ان يدركوا ان ذلك لن يمنع العدو من نقل المعركة الى عواصمهم التي يظنون انها ستبقى آمنة في غياب عناصر الثورة الفلسطينية .

« البيان »

لم يكن غسان اول شهيد تدفع به الثورة العربية قربانا على مذبح التضال ولن يكون . فلقد مضى قبله ، وسوف يأتي بعده الف غسان وغسان . ان الرجل الذي لم يسلك سبيل النواحي لا يقبل ان نأتي على ذكره نواحيا .

واذا كان الذليلون والطفيليون قد اختاروا طريق السلامة ، وآثروا — بلا حياة — ان يكونوا ضيوفا نقلاء على بعض الاجهزة العربية ، فقد اختار غسان طريق الجماهير الكادحة ايما منه بان العمل من خلال تلك الجماهير ومعهما هو الاطول نفسا ، والاكثر قدرة على الاستمرار .

لقد انتهت مرحلة التعبئة المعنوية الماطفية للجماهير ، كما انتهى دور الذليلين ومتسلقي اكتاف الجماهير من المستغلين والبرجوازيين المترهلين ، ومناضلي الصالونات المكيفة ، وثبت بها لا يدع مجالا للشك ان الحناجر لا تستطيع ان تدفع بتضحية الثورة العربية خطوة واحدة الى الامام . ومن هنا اشر خدم السفارات واجهزة الاعلام المضلة المهترئة افلاسهم ، ليبدأ دور الجماهير الواعية المهنية بالنظرية العلمية الثورية .

وكان غسان احداً التقدسين الذين ادركوا تلك الحقيقة . ولهذا اختار طريقه عبر صفوف مناضلي « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » ، فكان الناطق الرسمي باسمها . ورئيس تحرير صحيفتها « الهدف » .

ان الذين يدركون دور الجماهير





# الموت والبرتقال الحزين ومسيرة الأبطال

ابشع الموت في زنازة الحياة البشعة،  
فليس لكم الا العودة الى الارض الام  
الى المواجهة فالعالم ليس لنا ولم يبتق  
الا الارض وعن طريق الرجال والبنادق  
وهناك كانت ام سعد تبذر البذور  
في الارض وفي الانسان وهناك  
فلسطين العزيرة، ان غسان واضرا به  
عائدون الى حيفا، وكانت العودة  
الكبرى .. عودته في ذاك السبت  
الغادر وبقيت حياته تدلنا على النموذج  
لما يجب ان يكون، اما الشرط الممتد  
من دمه فقد سبقنا لرسم الخريطة  
الجديدة للانسان العربي الذي لم يكن  
يحلم به ولكنه بدأ فعلا في بنائه .  
ان الكلمات لا تعني اكثر من  
حرفها عند الذين لا يعرفون روحها،  
ولا تحمل شيئا يمكن ان نعتبره رثاء ،  
ففسان اول الثائرين على الموروث  
المحفوظ ، كل الذي نرجوه هو الا  
نكون قد قلنا اي شيء .

كان غسان في الطلبة يد  
لسانه لاولئك الذي يلغتون المصاطيب  
بخنا عن ابلان في دهر الصراع الذين  
يقفرون في عين الجلادين ، يتجهضون  
وفي كل لحظة عاجزة يجرون من خورهم  
لها كل تفسير . ولكن غسان كان  
لا يعرف الا الكلمة الخنجر والمواجهة  
الموجعة ، لذلك كان يواجه ، لا يعرف  
اللعب على الكلمات السحرية وما  
اكثر اللاعبين . وقف منذ ان خط القلم  
كلمته الواعية متحدثا عن الموت ، وعن  
ذلك البرتقال الحزين الرمز المستمر  
للارض التي لم يجف حليها في غم الابناء  
وظل يبحث في اعماق الاعماق يجري  
نفسه وراء الرجال الذين يبصتون  
عن الامل في الدنيا الواسعة هربا من  
المصير بخنا عن شيء، اي شيء، بعيدا  
عما خالوه سجنا ، فاذا هم في اعماق  
المأساة وكان الموت لرجال المأساة في  
اضيق السجون ، لقد قالها كلمة  
كبيرة فليس هناك في خارج الوطن الا

لينا نعرف معنى الصمت ..  
لينا نعرفه ليتحدث الرجال  
الذين يعرفون معنى الكلمة حتى وهم  
في الاجداث الساكنة .  
ولينا لا نزال نملك القدرة على  
القول وحناجرنا في مكانها كما كانت ..  
مات غسان ..  
الانسان ، الرجل والمناضل  
الذي تحقق بسقوطه في الساحة  
المعنى الحقيقي للنضال ... نضال  
القلم والجسد ..  
نقول كل هذا بنفس الحناجر ،  
ونفس الشفاه ..  
ولكن لنكمل قائلين : ان الهم  
من هذا وذاك هو ذلك النضال الذي  
تحسسه ابطال غسان فشكوه  
واقابوه مستويا : نضال الامل .  
وليتكم تعرفون معنى الامل يا من  
تعيشون في الساحة العربية تبحثون  
عن الطريق الذي تقودون فيه بغالكم  
والحمير ..

# يعجبني في شعر العقاد



كل جهد يبذل من أجلها . ولنتأمل طويلا هذه الكلمة التي قالها كيتس : « انني انظر البيت المحكم نظيرة العاشق » . على ان هذا الذي يقوله الشاعر الانجليزي لا يعني ان حسن السبك وحده غاية الشعر عنده . وانما كل ما يعنيه انه ينهر بالحكام الصياغة ، ويجد فيها متعة عظيمة ، لانه يعلم مبلغ ما يتكلفه الشاعر قبل ان يسلس له قيساد القول . ومن تمام تقدير الشعر ان تمتد نظرة العاشق الى القصيدة كلها لا ان تقف عند بيت بعينه .

والذي يزعمه هذا المقال ان عند العقاد كثيرا من الشعر الجدير بتلك النظرة ، ان الشاعرية هي الصفة

ليس الشعر بالفن السهل ، وان كان كثيرا ما يبدو كذلك بعد تمامه . جاء في كتاب العمدة لابن رشيق : « عمل الشعر على الصائق به اشد من نقل الصخر ، ويقال ان الشعر كالبحر ، اهول ما يكون على الجاهل ، اهول ما يكون على العالم ، واتعب اصحابه قلبا من عرفه حق معرفته » . ويمكن ان نضيف الى هذه القولة القديمة ان الشعر اذا لم يسهل على الشاعر فهكذا ينبغي ان يكون ايضا عند القاري . فكما ان نظمه يتطلب معرفة وثقافة وخبرة واسعة ، فكذلك القراءة ، تحتاج الى ما يماثل تلك المعرفة والثقافة والخبرة ، او على الاقل الى ما يقاربها . ولن يذهب عبثا اخر الامر الاستعداد المطلوب لاجسان القراءة ، فان المتعة بالشعر تستحق

## بقلم : احسانى حسن عباد

مستجدا بي ، ويسج ذاك البكم  
بنظرة انطق من كل فم  
يا طول ما ينظر ، هذا فظيع

هذه هي الصورة نظما فلنطالعها نثرا . يقول في مقدمته للقصيد : « واني لقي ظهرة يوم بين البقلة والتهويم اذا بهمة على باب حجرتي وخدش يكاد لا يبين . فتفتحت الباب ، فرايت المخلوق المخلوق قابعا في ركبه يرفع الي راسه بجهد ثقل . وينظر الي نظرة قد جمع فيها كل ما جمعه نظرة عين حيوانية او انسانية من معاني الاستعطاف والاستجداء والاستفغار . احس المسكين وطاة الموت فتعالم على نفسه وخطا من حجرته الى باب حجرتي ، وجلس هناك يخدش الباب حتى سمعته وففت له وهو لا يزيد على النظر والسكوت . »  
فهذا الوصف النثور احسب انه اشد تنجيلا ، واحفل بالشعر ، من الوصف المنظوم . وان المرء ليستطيع ان يخرج من تنبئه لنثر الكاتب الكبير بحصيلة وافرة يمكن ان تدور عليها دراسة طريفة عن « شاعرية النثر عند العقاد » . فكيف لم تستطع هذه الشاعرية ان تجد لها عبر النظم جهورا كبيرا ؟ يحسن بنا قبل الجواب ان نطالع شيئا من الشعر الذي زعمنا بشائنه ذلك الزعم :  
يقول في قصيدته « الثعلات » :

خل عنك العزاء الا احتشاما ان يكون الهيام الا هياما  
وابى الشجو ان يكون سلوا وابى الويل ان يكون سلما  
للرضيع العظيم تحلو الثعلات فمن يلهم القلوب الفطاما  
ليتني اشتهي المعازف والاسمار ، او ليتني اسفغ الداما  
فلفير الشجج انت فما تبرىء يا لحن للشجي سقاما  
ولري التراب انت فما تروين يا خير للفسوس اواما  
جنبوني هذي الاكائب اتني لسست من يزور الالاما  
انتي اعرف الضياء ضياء حيثما كنت ، والظلام ظلاما

بعد هذا نعود الى سؤالنا ، كيف لم يتبوا مثل هذا الشعر منزله التي يستحقها في نفوس الناس ، هل كان رسوخ مكانة العقاد في عالم الفكر ، او عالم النثر ، حاجبا لمكانته في عالم الشعر ؟ ربما صح هذا ، ولكني لا احسبه سببا كافيا لتعليل قلة الاقبال على شعره ، او قلة من يسبقونه . ولا احسب العلة في الشعر نفسه ،

الاولى من صفات هذا الاديب الكبير الذي تعددت مواهبه وقدراته . ولكن هذه الصفة التي اوقن انها اظهر ما فيه لا تزال خافية حتى اليوم على كثير من عابة القراء والمتأدبين ، بل هي موضع نظر عند كثير ايضا من خاصة الكتاب والنقاد والشعراء . نعم ان العقاد كاتب تقدير ، وان منزلته في عالم الكتابة فوق الاختلاف ، ولكن تلك المنزلة الرفيعة لا ينبغي ان تحجب عن الانظار منزلة ارفع منها . والواقع ان نثر العقاد نفسه يكشف للغاري المتأمل عن جانب من تلك الشاعرية النثرة ، فهو شاهد عليها لا شاهد على فقدانها او ضعفها . لنقرأ مثلا الفقرة الاتية التي اظن ان ليس بينها وبين الشعر الكمال الا انها لا تجري على قواعد العروض . يقول : « ان الانسان ليحار في اصل الحياة من اين اقبلت والى اين تذهب . وان العقول تختلف فيمن ابداع وصور ، وفيمن قضي وقدر . ولكنك اذا جلست في حديقة زائكية ، ونظرت الى روح النبو الحي تتحرك في جثمان من الجذوع والاعصان والاوراق ، فتقنك جالس الى جانب القنطرة التي تنكك وانتشاك ، وبين يديها بديك ومالك ، وتسبقك انك وارد على ينبوع الحياة الازلي ، فينبك وبين الموات المطلق ملايين الملايين من دورات الفلك المسماة بالسنين . ويخيل اليك وانت ذاهب الفكر بين هذه المظاهر البارزة للحياة ، وهذه المحاضر العامرة بالارواح ان لكل ثابتة تترنج امامك خيرا اليك ، وكلمة تهمس بها في افكك . يخيل اليك انها تدرى ، انها تهتم بان تبوح ، انها توميء الى سر قديم موغل في القدم والخفاء . ويلج بك هذا الشعور حتى ليضيق صدرك ، وحتى لتهم بان تصيح : ما بالها لا تنطق ؟ ما بالها لا تنطق ؟ او ما بالي لا افهم ما تقول ؟ » نحن نستطيع ان نجد في هذه الاسطر كل القدرات التي تصنع الشعر العظيم : الخيال الحلق ، والعاطفة المفتحة ، والفكر النافذ ، غير غائب عنها الا الوزن . بل ان نثر العقاد يبلج احيانا مرتبة من الشاعرية لا يبلغها نظمه . نستطيع مثلا ان نلحظ القلوعة التالية من رثائه لكليه ببجو . وهي تصف الكلب في ساعته الاخيرة يخلو الى حجرة صاحبه محاولا الاستجداء به . يقول :

خطوته .. يا برحها من السم  
يخدش بسايب وهو ذاوي القدم

فالحقيقة فيها أرى أننا نستطيع أن ننتخب من ذلك الديوان الضخم ثلاثة كبيرة يمكن إلحاقها بأروع ما عرفتة العربية من شعر . ولكن هناك بعض العقبات التي تحول بين هذا الشعر وبين أن يشق طريقه إلى ذوق الجيل الحديث .

من هذه العقبات أن الأذن أسرع في تلقي الشعر عند كثيرين منا من الشعور والخيال والفكر . أو قل أن الشعور والخيال والفكر أبداً علماً من الأذن . وقد مكن لهذا العيب عند الناس نوع من الشعر الذي يجاوز الأذان فلا يبقى منه شيء . والمؤسف أن دولة هذا الشعر المسفل لا تزال قائمة على الرغم من أن مدرسة الديوان ظلت تحاربه أكثر من نصف قرن . وقد امتدت الحياة بهذا النوع من الشعر حتى ولدت حركة الشعر الحر فولد معها على نحو جديد . كان المظنون غير هذا، ولكن التحرر من التزام عدد معين من التفاعيل في كل بيت أو كل سطر فتح الطريق لتسليط من الألفاظ الموسيقية الساذجة الخاوية من المعنى . وشعر العقاد من نوع آخر . ليس العقاد من أولئك الذين يصفرون إلى تنبيق الكلام وتزويقه استجلاباً لرضى موقوت ، أولئك الذين لا يعرفون من الشعر إلا أنه الفاظ رائعة السبك معجبة الوقع ، تروق السامع ساعة ثم تتركه كما كان ، بل أقل مما كان ، بينه وبين حقائق النفس والوجود الف حجاب لم يرفع منها واحد . ولأنه ليس من هؤلاء ، ولأن هؤلاء باتون حتى اليوم ، ظل شعره غريباً حتى اليوم .

أما العلة الأخرى التي نرى أنها باعدت بين شعر العقاد وجبهود الشعر فهي ذبوع الشعر الحر ، بما صاحبه من اتهامات كثيرة تنصرف إلى الشعر العربي كله إلى شعر العقاد فحسب . وإبرز تلك الاتهامات القول بأن شعر العقاد شعر عقلي ، وسيلته إلى التعبير المنطقي لا الصورة . والواقع أن الشعر الحر قد انتصر ، ولا تعنيان إلا عاقبة انتصاره ، وأن له جمهوره ، ولا يعنينا إلا مبلغ السلامة في ذوقه . إنما يعنينا أن انتصاره هذا أشاع كثيراً من المزاعم الخاطئة التي تحتاج مناقشتها إلى جهد كبير من الكتاب الذين يفهم امر الأدب وأمر العربية ، ورأس هذه المزاعم الخاطئة ، أن الشعر العربي شعر فكرة ومنطق . فإذا حاولت أن تعرف ما الشعر الذي خلا في زعمهم من هذا العيب وجدت غموضاً مطبقاً ، وتخليطاً ، وارتجالاً ، وركاكات لا أول لها ولا آخر . وهم ما ذهبوا ذلك المذهب الخاطيء إلا لأنهم رأوا الشعر العربي - وشعر العقاد في الصميم منه - كلاماً قابلاً للفهم ، ففسبوا أنه لم يكن كذلك إلا لأنه منطقي . وليس الأمر كذلك . فالحق أن كل شعر جيد تتضائل في صنعه ثلاث قوى : الخيال ، والشعور ،

والفكر أو المنطق ، والشعر العربي ، في الجيد منه ، تعمل فيه هذه القوى الثلاث متعاونة متألقة لا تطغي أحداها على الأخرى . والفكر بين هذه القوى وظيفة لا يكون الكلام تعبيراً فنياً بغیر تحققها ، هي ضبط الخيال وضبط الشعور . والفكر يمكن في الشاعر المتقدم أن يعمل عملاً هذا دون طغيان على اللفظيين الآخرين ، ويمكن أن يظل الشعر شعراً ، وشعراً عظيماً ، مع ظهور الفكر ظهوراً شديداً في كثير من الأحيان . ولتقرأ مثلاً هذين البيتين لابن الرومي :

**لما تؤذن الدنيا به من صرفها  
يكون بكاء الطفل ساعة يولد  
والأفما يبكيه منها وانها  
لأرصب بما كان فيه وأرغد**

في هذين البيتين صورة القضايا المنطقية ، دعوى ويرهان . ومع هذا يكشف التأمل فيها عن منطق آخر أخفى من هذا المنطق الظاهر ، وهو المنطق الصحيح ، المنطق الصادر عن شعور متوهج لا عن ذهن مجرد . لقد خبر ابن الرومي الدنيا ، واكتوى بهومها حتى تال له شعوره أن الهم أصيل فيها ، ولما انتبه لبكاء الطفل ساعة الميلاد ، هذه الحادثة الفكرية العابرة ، أسر الشعور المغمم بما ليتولى مهمة التفسير بدلاً من الذهن المجرد . ولهذا كان ما في البيتين من منطق غريب يختلف بتاتاً عن منطق العالم بالطلب أو بوظائف الأعضاء . وذلك منطق الشاعر ، أو خيال الشاعر .

وعلى هذا النحو ينبغي أن نفهم المنطق في قول العقاد ، على سبيل المثال ، عن حب ميت :

**كنت أرجوه لأمس ، لقد ، رب أمس لك لا ترجو سواه**

فهذا بيت تبدو عليه سيماء الفكر ، ولكنه فكّر منصر في الشعور . هنا رجل جرب الدنيا أيضاً كما جربها ابن الرومي ، وعرف نعمة الحب ، ومبلغ الجفاف والفراغ في الحياة التي تنقتر إليه ، فهو يأسى على حبه الذي مات قبل أن يشهد الدنيا ذلك الأسى العظيم لأنه يربح أن تجيء عليه ساعة لا يأبل فيها ، ويرهب أن يلتفت خياله إلى الوراء بعد فلا يجد إلا أرضاً خراباً . أنه يريد لخياله حينما تعود به الذكرى إلى الماضي أن يجد حياة متحركة جياشة ، حياة يعمرها الحب ، لا سهوياً قاحلة لها ظلام الصمت . والشعور إذن لا الذهن المجرد هو الذي يقول لنا « رب أمس لك لا ترجو سواه » .

وخلاصة القول في هذه المسألة أن الفكر غير منفى من طساق الشعر على اختلاف أزمانه وأوطانه ، وظهور الفكر في شعر العقاد كظهوره في الجيد من الشعر العربي



وغير العربي . يقول وردزورث : « كل شعر جيد فهو فيض تلقائي للشاعر الغلابة . ومع هذا فما من قصيدة على شيء من القيمة الا وقد صنعها ، مهما يكن موضوعها ، انسان ذو رهاقة فريدة تشتمل على كباته كله ، وذو تفكير طويل عييق ايضا . » ويقول دافيد دياشيز : « من السخف ان يلقي الشاعر الى اليم بفنصر من عناصر عمله يسهم بنصيب وافر في غناه وقوة تأثيره . اما اولئك القائلون بان ليس على الشاعر ان يعني بغير الجرس ، او القيمة الرمزية في الكلمات ، فيكتفي في جوابنا لهم ان نقول انه يبدو واضحا ، اذا نظرنا الى المسألة النظرة الحسابية الاولى ، ان الشاعر لا ينبغي له ان يفكر نفسه كل هذا الافتقار . وما علينا الا ان نعود الى مختارات جامعة من الشعر الانجليزي ، او من الشعر الاوروبي اذا اردنا تعميم الاستشهاد ، لتتحقق من ان كل الشعر المشهود له ، الذي ابدعته قرائح الشعراء وبقي في كل تاريخنا الادبي ذخرا ، ليست وسيلته الى التعبير الجوانب الثانوية للغة وحدها ، بل هذه متحدة بالدلالة العقلية للكلمات . »

ثم نأتي الان الى عقبة ثالثة من العقبات التي تنأى بشعر العقاد عن الفاري اليوم ، وهي اللغة غير المألوفة وهي عندي اھون العقبات ، لان ازاحتها لا تنتضي تغييرا في وجهة النظر او في الذوق ، انما تنتضي صبرا على البحث من اجل معرفة الغريب . سيصادف القاري في ديوانه كلمات مثل « اناويق » في قوله :

هذه ما نرضعه ، نرضعه بافاويق حياة لا تبديد

اي بخير ما في الحياة . ومثل « يصادي » في قوله :

وترى الف محيا باسم ، لا يصاديك اذا ردت حياه

اي يعارضك .

وربما صادف ايضا في بعض الاستعمالات النحوية شيئا من الغرابة ، كالجمل الحالية في قوله يرجو حبه الميت ، او الذي كان يرجوه :

للأسي يسعد ، للخطب يقي ، للمنى من ذاقتها باع مائه

فان لغة الحاضر ، داخلا فيها كثير مما يسوونه ادبا حديثا او جديدا ، يندر فيها مثل هذا الاستعمال . فإذا لم يكن الملتقي عارفا بلغته فيسجد في مثل هذا شيئا من الصعوبة او الندود يعترض ذوقه . واذا اجتمع عليه عدم المعرفة وعدم الرغبة في الجهد من اجلها فهو اذن امام شيء لا يقرأ . ان قارئنا كهذا غير مؤهل لقراءة العقاد ، ولا لقراءة أي اديب تتوقى الاواصر بينه وبين تراثه . وهو اذن ليس حكما في مسائل الادب ، وليس له ان يحتج بلغة الحاضر ، لان اللغة في اي حاضر اذ لم يفردها الادباء باعداد من لغة الماضي فهي صائرة الى هزال

لا يقوم معه ادب ولا فكر ولا حياة . على ان هذا لا يعني اننا نريد للشاعر المعاصر ان يكتب كما كان يكتب اسلافه منذ مئات السنين . فهذا امر لا يطلب ولا يكون ، الا اذا عزل الشاعر نفسه عن عصره وعاش في جو مصطنع لا يصغي فيه الى غير الماضين . وهذا شذوذ لا يؤبه له . ثم هو لا يعني ان الشاعر لا ينبغي له ان يستبد لغة الحاضر ، اعني النصحى الشائعة ، فان لها جلالا حين تثجع بموقعها . لنقرأ مثلا هذه الابيات التي يقول فيها العقاد الشيخ مخاطبا حبيبته الشابة :

اكثيبي مرة او فاكثيبي مرتين  
الف الف من اعاجيبك في غش ومين  
لن تبديد الفارق الخالد يا قرة عيني  
والسموات التي يبنك في اللب وييني  
.....

اكثيبي واكثيبي ، كلما شئت اكثيبي  
ما غناء للبعدي ان ابى ان تخدعي  
انا في ثروة وفر منه مهما تسليبي  
انقصها ، اي ضير ، درهما او درهمين

فقوله « قرة عيني » عبارة ولدت في الفصحى ثم كادت ان تموت من شدة ابتذالها في لغة العامة . ولكن شاعرنا عرف كيف يحييها .

وكذلك قوله من قصيدة اخرى :

سلوكك عاصيا قلبي ، ولم اك طائما اھوى  
فما اخترت على حال ، ولكن «هكذا الدنيا»

فنحن كثيراً ما نسجع هذه العبارة « هكذا الدنيا »  
ولكننا في الحديث اليومي لا نحس بشاعريتها كما نحس  
بها في سياقاتها هذا الذي يبعث فيه بعنا جيداً .  
من هذا يتبين لنا ان المعاد عرف كيف يوائم بين لغة  
الماضي ولغة الحاضر ، او قل عرف كيف يستعمل لغته  
الاستعمال الصحيح الحي .

والان نسأل : هل يستطيع شعر المعاد بعدد  
ازاحة المعينات السابقة ان يحوز الاعجاب ؟ او ما  
الذي فيه مما تحسب انه يهز قارئاً او مستمعاً لا يأسره  
جرس الكلمات وحده ، ولا ينكر الفكر في الشعر ، ولا  
تعرضه النسبية للغة ، ولكن هناك سؤالاً اخر مرتبطاً  
على هذا ، وهو بداية الجواب على السؤال الاول :  
هل يضمن الشرح والتحليل والابانة عن عناصر الجودة  
هز قاري لا يهتز بغيرها ؟ يجيبنا ابن رشيق في العدة :  
« سمعت بعض الخذاق يقول : ليس للجودة في الشعر

صفة ، انها هو شيء يقع في النفس . » يعني ان المعجب  
بالشعر لا يجب لمة ثابتة في الذهن يمكن الترجية عنها  
في الفاظ ، ولكنه يجب اولاً ثم يأتي الشرح بعد ذلك ليقول  
— على وجه التقريب — بم كان الاعجاب ، ولهذا آثرت  
لهذا المقال ان لا يطعم في اقتناع ذوق ما بجودة المختار  
من شعر المعاد ، وان يطعم في ازالة بعض العوائق في  
طريق هذا الشعر الى الذوق المعاصر . ان الذوق في  
الحقيقة كالتسلو ، هو الرجل ، والرجل لا يولدون  
مترين ، فقلبا ينجم الججاج في تعديل الإحساس القائم ،  
وان نجح شيئاً ما في الاعداد لتعديل المستقبل . ولعل  
كلية الحاذق الذي حدثنا عنه ابن رشيق هي التي تسر  
لنا لم احجم المازني عن الشرح وهو بصدد الكلام عن  
اعجابه بشعر المعاد . يقول : « اني لاحس بعد الفراغ  
من مراجعة ديوان المعاد كان تعبيري الحياة لي كان حقيقياً  
ان يكون ناقصاً من بعض وجوهه او لم يقل المعاد شعره  
هذا وما اراني مبالغاً ولا انا اقول ذلك على سبيل  
الجمالة . » ثم يقول : « ومن العسير علي ان ابين  
على وجه الدقة ما اعني ، او ان اقدر للقاريء او  
لنفسى بلغم القصص في تعبيري الحياة بغير هذا الشعر ،  
فهذا ما لا سبيل اليه ، ولا قدرة فيما اظن لاحد عليه .  
واحسبني اريد ان اقول اني اطلمت من شعر المعاد  
على نواح كانت محجوبة عن عيني ، واني وجدت فيه  
التعبير عما كنت احسه ولا اكاد ادرك كنهه ، او ما ادرك  
ولا اقوى على العبارة عنه . » فالمازني كما نرى يحس  
ولكنه لا يبين ، لان نظرة العاشق للشعر الحكم التي  
حدثنا عنها كيتش ليس لها صفة .

على ان هذا لا يعني استحالة البيان عن الاحساس  
بالجودة ، ولكنه يعني ان البيان التام عن حقيقة ما  
تجده النفس غير ممكن ، او هو على الاقل امر بعيد .

فانت تستطيع ان تتول يعجبني في هذا الشعر كذا  
وكذا ، ولكذلك غير مستطیع ان توقع في نفس احد ما  
وقع في نفسك ، وواجد بعد كل تحليل الجودة في الفن  
ان هناك ما لم يقل ، ما ليس له صفة ، ما يحس  
نحسب .

اول ما يعجبني في شعر المعاد البساطة . وهي  
صفة تحتاج على بساطتها الى ايضاح . يقول النقاد  
الانجليزي المعاصر سي . داي . لويس : « يجب ان تكون  
القصيدة الفنية بسيطة . ولا تعني هذه المقولة ان تكون  
القصيدة بالضرورة غير مركبة ، او سهلة الفهم ، فيعوض  
الشعر الفنان كثير التعقيد وصعب . انها تعني ان تنقل  
القصيدة حالة وجدانية واحدة ، وحالة فكرية واحدة .  
وان تنقل ما تنقل في بناء خال من الثغرات ، بناء يبدو  
ولا موضع فيه للوصلات او الرقع ، ويبدو في مناسبتها  
للحالة كانه معطف لا اثر للابرة فيه . »

ويقول كولردج : « ان يكون الشاعر بسيطاً يعني  
ان يكون مستقلاً في التصور . » فاذا عدنا الان بعد هذا  
الايضاح الى قصيدته السابقة ، مثلاً ، اكتبيني ، وجدنا  
انفسنا امام المعطف الذي لا اثر للابرة فيه ، وامام استقلال  
في التصور لا شك فيه . هنا حالة وجدانية فكرية واحدة ،  
وبناء متناسك لا موضع فيه لثغرة او رقعة . صبيبة  
غرة وشيخ متخادع ، وفارق خالد بين ادراك المرأة  
وادراك الرجل ، تريد هي الا يكون غيتركها مرة او مرات  
تستشعر ما تريد . وهو في تركها لو علمت اشد ايلها  
لانه يتغاضيه الحكيم يؤكد ذلك الفارق الخالد الذي يحدثنا  
عن فعله في نفس المرأة حيث يقول في ابيات اخرى :

خل الملام فليس يثنيها ، حب الخداع طبيعة فيها  
هو سترها وطلاء زينتها ، ورياضة للنفس تحيها  
وسلاحها فيما تكيد به من بصفتيها او يعاديها  
وهو انتصار الضعيفين قدها من طول ذل باتيشتيها  
انت الموم اذا اردت لها ما لم يرد قضاء بارها

فاني جلال يطل علينا من البيت الاخير . لكننا على  
رغم خلوه من المجاز نرى القضاء اماناً ونسجع صوته .  
واي اسى يتقاطر من تلك الدعوة اليائسة الى ترك المرأة  
بلا لوم .

والصفة الثانية هي النفاذ الى الاعماق . انظر  
الى هاتين الكيتين « انتصار الضعف » تعرف ما هي تلك  
القدرة التي تميز كل بصيرة شعرية سامية .

ثم الى هذين البيتين لتشهد فيها كيف تستطيع  
التغلغل والفوس الى البواطن السحيقة من نفوس بني  
آدم تلك البساطة العجيبة :

# الأديب

تصدر في مطبع كل شهر

يساهم في تحريرها

أدباء العربيّة من

المحيط إلى الخليلج

تحت إشراف

للأنباء والثقافية والدولية

في العالم العربي

اشتركوا في :

## البسائر

ملئقي الاقلام الحرة

كم ذليل عن نفسه يدفع الذل بحب لمن سقاه الهوانا  
يخدع النفس ان تسلم بالقهر فيجبره في الضمير حنانا

ثم الى هذه الابيات ايضا :

متي يصير الدنيا امرؤ كل عيشه طريق اليها يلتوي ثم ينضم  
وكيف يرى ايامه يتدبر لما فات او ساء بآتيه مهتم  
الا تلوهمونا على كثر فطنة نضيمه ، ان الجسم لها حكم

هذا ضرب من الفطنة التي خلد بها المتنبي وابو  
الملا وشكسبير ، لا احسبني مبالغا اذا قلت ينذر ان  
نجدّه عند شاعر غير العقاد في شعرنا الحديث كله .

وصفة ثالثة نختم بها هذا المقال هي تنفرد  
الاحساس . ان تصيدته « القمة الباردة » شاهد يوشك  
ان يكون معبرا عن شعور لا نظير له في شعرنا العربي  
كله . يقول :

اذا ما ارتقيت رفيع الذرى ، غايك والقمة الباردة  
هنالك لا الشمس دواره ، ولا الارض ناقصة زائده  
ولا الحادثات واطوارها مجددة الخلق او بآئده  
قوالب يلتذ تقليبها اناس وتبصرها جامده  
ويتعلو وتهبط جذرائها ، وآساس جذرائها قاعده  
ويا يؤس فان يرى ما بدا من الكون بالتظرة الضالده  
فذلك رب بلا قدرة ، وهي له جنة هابده  
الى الغور ، اما تلوج الذرى ، فلا خير فيها ولا فائده

فهذا شعر لا يقوله الا رجل خبر الفكر طويلا حتى  
ادرك النهاية المفزعة التي يؤدي اليها الايغال في التجريد،  
وهو مع هذا ملء بالحياة ، يخشى عليها طغيان المنطق  
المجرد والفلسفة . وما كانت خشيته الا لانه شاعر بحق،  
لا يزايله شعوره حتى وهو يخلق في مهامه السكون  
المطلق حيث يصيح العالم الانساني كله ذرة في سديم .  
انه يعرف تلك الاناق المفتره ، لانه صاحب فكر قوي ،  
ولكنه لا يرضى بالبقاء هناك ، لان بين جوانحه وجدان  
شاعر .

الحسائي حسن عبدالله







بقلم  
عبد الرزاق البصير

# من قضايا الأدب والجماهير حقبة النخوة في عصرنا المعاصر

الاذهان والمعتول . اما اذا كان ملفوقا بالضباب يكاد يفتح لكل فرد مفهوما خاصا ، فانه لا يمكن ان يحرك الجماهير ، هذه حقيقة يحدثنا عنها تاريخنا الادبي في القديم والحديث . اما في القديم فانه يخبرنا بان الجماهير لم تنفخ قلوبها الا للشعراء اصحاب الاسلوب المنير الواضح ، كابي نواس وشار وبيشار والبحري ، وابن الرومي ، وامثالهم ، اما غيرهم من عباقرة الفن فان الجماهير تلتقط البهيم الواضح من فهم الشعري . لم تلهج السنة الشعوب في العصور القديمة والحديثة ، او قل لم تأخذ ذكارتهم من شعر المتنبي الا قوله :

واذا ما خلا الجبان بارض  
طلب الطعن وحده والقنالا  
ما كل ما يتفنى المرء يدركه  
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن  
من يهن يسهل الهوان عليه  
ما لجرح بميت ايلام

ومن شعر بشار :  
اذا انت لم تشرب مرارا على القذى  
ظلمت واي الناس تصفو ومشاريه ؟  
اذا كنت في كل الامور معاتبه  
صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه  
وامثال هذه الايات السائرة على السنة جهاهيرنا كثيرة كثيرة ، لان اغراضها واضحة ولايتها تعبر عن احساسهم ، وهناك ، لهؤلاء الشعراء وغيرهم ، شعر جيد كثير ولكنّه موجه للخاصة . لذلك نجده معروفا بينهم على وجه التقريب .  
اما في عصرنا الحاضر فان الكثير منا قد شهد رعب نوري السعيد ايام حكمه من الشاعر المعروف محمد مهدي الجواهري حين كان يذاع عنه بانه سينشد قصيدة ، لان نوري السعيد يمتلك ان الشعب العربي في العراق سيندفع بقوة حين يستمع الى الجواهري وهو يقول :

لقد اطلقت اسماء كثيرة على هذا العصر الذي نعيش فيه فهو عصر التلق ، وعصر العلم ، وعصر الاختراع والاكتشافات ، وهو عصر الجماهير او عصر الشعوب . وكل هذه الاسماء والالتساب مستوحاة من اوصافه واحداثه .

اما انه عصر التلق فلان القوة لا تزال هي المطلق السائد بالرغم من التشريعات الكثيرة للقوانين والدعوات التي لا تحصى والتي تدعو الى قية الانسان والايان به . وبالرغم من هذا كله فانتنا لانزال نشهد الفتك والتدمير يصب على المدن والقرى المكتظة بالناس لا فرق عند الذين يملكون القوة بين الشيخ المعاجز والليل والفض والجندي الحارب ، ولا بين الهرسة والكتيبة والكتبة المليئة بالسلاح . . .

واما انه عصر العلم فبيان ذلك واضح ، واهم ما اعظم من هبوط الانسان على القمر او هبوط آلة على القمر يحركها الانسان من الارض متى شاء وكيفما يشاء . والطائرة التي تسير بدون انسان . . الى غير ذلك من وسائل لم يكن خيال الانسان يحلم بها قبل هذا العصر .

اما انه عصر الشعوب فلان مشاركة الجماهير في الحكم قد اصبحت من الامور التي لا يجوز الجدل او النقاش فيها . واود ان اتف حول هذه التسمية لما لاحظته من تناقضات ظاهرة لا يمكن ان تنفق وهذه التسمية . فالمثقفون والفنانون على اختلاف اتجاهاتهم وتخصصاتهم يصرخون بملء اصواتهم ان كل نشاطهم موجه الى الجماهير ، لكنهم ، ولاسيما الذين يدعون الى التجديد ، يمسكتون الغموض مدعين بانه من سمات هذا العصر ، وهو من علامات التجديد ! ويقولون انه نوع من الاحتجاج والرفض لكثير من النظم المفروضة علينا ! والفئة التي اعينها هنا هي التي جعلت الكلمة اداة لفنها . فكيف يتفق هذا النهج والقول بان الجماهير هي المقصودة بكل ما يصدر عنهم من نشاط ؟ والذي افهمه ان الجماهير لا تتحرك الا اذا كان ما يوجه اليها مشرقا يصل بقوة الى

نامي جباع الشعب نامي  
حرسك الهة الطعام  
نامي على زيد الوعود  
يذاف في عسل الكلام

او توله :

اتعلم ام انت لا تعلم  
بان جراح الضحايا فم  
فم ليس كالمدعي قوله  
وليس كاختر يسترحم  
يصيح على المدغمين الجباع  
اريقوا دماغكم تطعموا  
ويهتف بالنفر الهطمين  
اهنبوا لسلامكم تكرموا

وقد تعددت اختيار الجاهري لان احدا لا يستطيع ان يناقش في موهبته الشعرية ولا في ثمره على الرجعية ولا في جراته في التعبير عما يكتنه ضمير الفرد العربي من التذمر ، ولا في تجديد مضمونه الشعري . وليس معنى هذه الكلية اني ادعو الى ان يقف شعراؤنا جابدين لا بالنسبة الى الشكل او المضمون ، لكن الذي ادعو اليه هو الاشراف والوضوح ، لان اي منصف لا يجوز له ان يلوم او ينتقد الجاهري ، او اي فرد من الافراد حين تصمت او تعجز عن فهم هذه القطعة الانية :

كانوا ينتقلون هدير الفيض البشري  
الى حانة اشباح حلف غلايين قطارات الليل  
القرد كثيف الشعر على ظهري  
وجدار صفيح محوم يطعم قط تيسبي ولييز  
كوداع اقصر من ثورة موجة  
او صافرة التعداد

لان هذه القطعة مبهمه او ان شئت الدقة في التعبير مثل انها مقسلة تحتاج الى من يعرف مفاتيحها وربما تضيق حتى على قائلها ، وكثير من الاشعار الجدد ان الذين يدعون التجدد يسلكون هذا السلوك ، ومن غريب امرهم انهم يشتون الذين لا يهتمون لهذا النوع من الشعر ، بل انهم يشتون من يتساءل عن معانيه اذ ان هؤلاء الشعراء يرون بان كل من لا يتأثر بمثل هذا الشعر لمي لا يصلح لعصرنا الحاضر ، على اني لست ممن يرفض الشعر الجديد كله فهذا شيء لا اذهب اليه ، لكني ارفض الغموض والابهام ، لاعتقادي ان الجاهري معنوية اذا رفضته ، فان اي فرد لا يمكن ان يتأثر باي اثر غني من اي نوع كان الا اذا فهمه حق الفهم . اما القول بان الغموض نوع من الاحتجاج فاننا لو سلمنا به ، فلا بد لنا من ان نقول بان الجاهري ليست مقصودة ولا معنية ، وانما يعبر الشاعر عن نفسه لنفسه .

واخيرا ، اود ان يبين لي هؤلاء الادباء قواعد القوة والاجادة في هذا اللون من الشعر . فان الامر قد اختلف علي وعلى الكثيرين .

لقد وضع النقاد كتبا كثيرة ضمنوها دراسات مستفيضة تركزت على قواعد واسس يمكن ان تحكم بناء عليها ان هذه القصيدة قوية او ضعيفة . المجال لا يحتل رواية تلك القواعد والاسس ولكن يمكننا ان نقول ان النقاد مجمعون على ان قوة الشعر تركزت على وضوح الفكرة وجزالة الاسلوب ، وان الغموض والابهام من اقوى الدلائل على عجز الاديب نائرا كان او شاعرا . ولقد اصبح النقد الادبي فنانا بذاته ، تخصص به كثير من الادباء . على ان هذه القاعدة التي اشرنا اليها لا تزال مأخوذا بها حتى عصرنا الحاضر ، ليس عند ادباء العربية فقط ، وانما عند كثير من ادباء الغرب ، منهم سميرت موم ، الذي قال جبلته المشهورة « ان الغموض والابهام يدل على عجز في التعبير كما يدل على عجز في التفكير » . فكلها كانت الفكرة واضحة وكالت القدرة عند الكاتب متوفرة ، كان تعبيره واضحا مشرقا ، وكان تأثيره في النفوس اقوى ، والى العقول اقرب .

واظن انني لست في حاجة الى القول بان الوضوح الذي ادعو اليه لا يعني ان يكون الفن ، ولا سيما الشعر صورة عن الواقع ، ليس فيه تائق ولا خيال . فأي فن لا ينصف بالخيال والانتافة والعمق لا يمكن ان يسمى فنا او يكون له تأثير في النفوس . فقد تسال الجرجاني وغيره من النقاد « ان كثيرا من المعاني معروفة يستطيع كثير من الناس ان يسلم بها ، لكن الكثير هو الذي يأخذ تلك المعاني ويضعها في صور او قوالب يجعلها تصل الى اعماق النفوس . وقدرة الفنان تتضح في الصور التي يختارها للمعاني التي تأخذ بنفس الفنان » ولعل من خير الامثلة على ما ذكرت ، هذه الابيات التي قالها احد شعراء الوحدة العربية : الاساذ سليمان العيسى ، والتي عبر بها عن غرابه بالفلاحين وريهم الجليل ، والتصاق الريفيين به وغرابهم بالشعراء ، ومن المعلوم ان التصاق الناس باي شاعر او كاتب لا يتأتى الا بعد تبصيره عن اماليهم واغراهم والامم وفهمهم له حين يغنيهم بالشعراء ، يقول سليمان العيسى :

يا نسيم الريف .. اني شاعر  
صاغه من روحه هذا الهواء  
من هدوء الفجر ، من اعصاره  
من لظاه حين تطفئ الكبرياء  
يحفظ الريف اهازيجي ، ففي  
كل بيت رقصة لي وغناء  
يا ليالي الكوخ .. اني هنا  
فاعقدي العرس .. ندماك ظماء



# أعظم

شعر / عبداللطيف عبدالحي

وجئتني ، أشرقت لي فجأة  
فانتفضت حمائل الحصن  
هدمته ، قوضت أسواره  
فبات يحكي ذلة المهين  
أذود عنه ، حيث لا حيلة  
— مها غلت في أيدها — تغني  
أرسلت لي الشمس فحييتها  
وعفت ليلا كان في السجن  
وأشدد الأخطار ، أحيا بها  
فالموت في بلادة الأمن  
اليك ما بالحصن ، يا روضة  
فناء إليها ثارد اللحن  
رفرف فيها طائرا مفردا  
حن الى مفردة الفصن

•  
مليكتي ، سلبتني ما معي  
فلتمرحي في القلب والمين  
أسلمت ما في حوزتي كله  
من دون ما ضمن ، ولا من  
لم أبق شيئا ساترا مقتلي  
الا نزعنت السرير ، لكنني  
لست أهاب القتل ، يا فتنه  
فحاذري ان تنشدي طعني

ترفقي ، هذا الحطام الذي  
ألقيته ، بقية مني ...  
أنفقت فيه العمر ، لا وانيأ  
— في هجمة الاشجان — أن ابني  
حصني الذي أسلمته مرة  
فأب بالتحطيم ، والفبين  
وذل أنقاصا ، ولا همة  
تنشله من وهدة الوهن  
يفيء للظن — على رغبة —  
ما أضيع الايام في الظن

•  
جمعه — وهو شتيت ، لتي —  
يضطرخ الماضي به ، يضني  
أجاره السماء في رعشة  
تعتصر الذكرى لها عيني  
شيدته حصنا منيع الذرى  
وعشت فيه هاجع الجفن  
أسواره الشماء في شوكة الممر  
ور تتسي وحشة الدجن  
أحرسه من جمحات الهوى  
خشية أن يخدع بالمين  
أحمل الثلج به صابرا  
يا ضيعة الشمس التي تجني



جواب  
من  
حياة

ملاح من شخصيته - مصادر رزقه - صلاته بمعاصريه  
ذو شعوره

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

يقام:  
الدكتورة  
عائكة الخرجي



والديوان شاهد صدق على ما تقوله لنا كتب  
الادب من ان الشاعر لم يتخذ من شعره اداة للعيش،  
فشعره اقتصر على الغزل وحده اللهم الا ابياتا اربعة  
في مدح الرشيد املتها عليه المناسبة فجاءت باردة فائرة،  
فقد صحب الشاعر الرشيد على ما تقوله الرواية في  
سفره الى خراسان الا ان شوقه الى من خلف وراءه  
في بغداد فضحه ففاض على لسانه بهذه الابيات :

اسأل الله خير هذا المسير  
وايابا في غبطة وسرور

انت تعلم ان العباس بن الاخنف كان من اولئك  
القلة الذين لم يتخذوا من شعرهم اداة للعيش فما مدح  
ولا هجا ولا تكسب (١) انها كان من اولئك الذين  
قرضوا الشعر للشعر وارتفعوا به ان يكون سلعة  
تباع بابض ثم وتعرض على اي شار .. وحسبك  
ان تعلم ان صاحبنا هذا اظله فيما بعد بلاط الرشيد  
واغرقه بالمطايا الى اذنيه وما تلى الخليفة ببيت  
واحد على حب الرشيد للمديح وزجة المتبرعين على  
اعتابه من كبار الشعراء !..

(١) انظر الشعر والشعراء ٢ : ٨٠٤ وطبقات ابن المعتز : ١١٩  
والاغاني ( دار الكتب ) ٨ : ٣٥٢ ومعجم الانبياء ٤ : ٢٨٢

فالعباس كان يستلهم من حياة الخليفة العاطلية بعض معاني شعره وكان وقع ذلك في نفس الخليفة وحظاياه وزوجه زبيدة جيلا وكان جزء العباس قربي وودا وعطيا وجوائز (٦)

ومن هنا خلا لابن تغري بردي في نجومه الزاهرة ان يدعو العباس ذات مرة شاعر الرشيد (٧) وهكذا ترى ان العباس بن الاحنف لم يكن في يوم من الايام شاعرا سياسيا يصطنعه بلاط او ينطق بلسان خليفة انها هو شاعر غنائي يكتب الشعر حين يجد بنفسه حاجة اليه وليس مثله من يضيع موهبته فيزيف لا طائل وراءه ...!

يروى لنا صاحب الاغاني ان الرشيد كان يفضل ابا العتاهية على العباس ، ونحن ان صدقنا هذه الرواية فلعل السبب كون ابي العتاهية كان ممن يرضي غرور الرشيد بمدائح في حين ان العباس لم يكن ممن يحسن المداراة والمصانعة ولم يكن يغرف الا من نسب قلبه ورحم الله جبران اذ يقول :

« ليس من يكتب بالحبر كمن يكتب بدم القلب ! »  
واظنك تتفق معي ان البون بعيد بين ابي العتاهية والعباس بن الاحنف وان لا سبيل للمقارنة او الموازنة بين الشاعرين قالوه ما بينهما عيقة عقى ما بين الطبع والتلحيع والتلقائية والتصنع ...!

ومع ذلك عالمت ان شاعرنا كان حظيا لدى الرشيد يسخره لان يكتب له في موضوع من مواضيع قلبه او يسائله الخليفة اجازة بعض ابياته فيعمل ، ومن هنا كان اختلاط بعض شعر العباس ببعض شعر الرشيد (٨) .

والروايات صريحة في نقلها ان العباس كان سفير سلم بين الرشيد وزوجاته حيناً وبينه وبين حباته حيناً آخر :

« .. كان الرشيد يجد بماردة وجدا شديدا فغضب عليه وغضب عليها وتبادى بينهما الهجر ايابا فامر جعفر بن يحيى العباس بن الاحنف فقال :

انا في عسكر اخر امام  
زانه ربه بخير وزير  
غير اني نفست ما انا فيه  
بتاح من الهوى مقدور  
وبهجر من الحبيب فلا تسأ

ل باحوال عاشق مهجور ...! (٢)

او بهذه الابيات ولعلها احد عاطفة وانصح عن الرغبة في السودة :

قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا  
ثم المقول فقد جئنا خراسانا !  
ما اقدر الله ان يدني على شحط  
سكان جحلة من سكان جيحانا !  
مضى الذي كنت ارجوه وآمله  
اما الذي كنت اخشاه فقد كانا (٣)

وتتادى الابيات الى سبع الرشيد فيأذن لشاعره بالمسودة الى بغداد !

ومن الواضح بعد ذلك ان شاعرا قصر شعره على قلبه وحده لن يكون شاعرا لبلاط ومداحة لخليفة ...!  
من هنا اشبهت الظروف المحيطة بالعباس الظروف التي كانت تحيط بامر بن ابي ربيعة . فكلما الرجلين يمتلك الجمال والشباب واليسار وكلا الرجلين لم ينط به عمل من الاعمال فمن البديهي بعد ذلك ان يسمى كل منهما وراء الجمال وان يستلهم منه روايت الشعر .  
واذ ثبت ان العباس لم يكتب شعره ، فلماذا اذن كان يعمل ؟ وكيف كان يكتب عيشه ...!  
الراجح عندي ان الشاعر كان يتخذ من ماله الذي ورثه عن ابيه اول الامر موردا للعيش (٤)

وانت تعلم ان علاقة الشاعر بالرشيد كانت وثيقة على الرغم من انها لم تكن علاقة شاعر بمودحه ولعلها كانت اعمق واثق و ابل واصدق .. انها علاقة سمر بسمر وصفي بصفي ونجي بنجي او كما وصفها فابلغ استاذنا العلامة المستشرق الكبير ر . بلاشير بقوله انها كانت : « لا شاعرة السرور في خلوات الخليفة او لحظات فراغه » (٥) "à Charmer ses loisirs"

- لا يلائم ان يروي لنا على لسان الجاحظ في موضع اخر من كتابه : « ان مروان بن ابي حفصة هو وهذه دون غيره شاعر الرشيد » نجوم ٢ : ١٢٢  
(٨) المقطوعات ٢٦٩ ، ٥٦٢ ، ٢٤ في الديوان منسوبة الى العباس الا انها في المراجع الاخرى الكثيرة منسوبة الى الرشيد انظر : تاريخ بغداد ١٢ : ١٣٠ - ١٣١ نهاية الارب ٢ : ١٢٤ والقطعة ٢٤ في الديوان البيت الاول منها منسوب الى الرشيد . وقسم اخر منها تارة ينسب الى ابي نواس واخرى الى العباس !

- (٢) ديوان العباس قطعة رقم ٢٩٠  
(٣) ديوان العباس قطعة رقم ٥٦٣  
(٤) يقول الخطيب البغدادي في تاريخه ١٢ : ١٢٢ متحفا عن اسرة العباس ما نصه : « وكان انتقال اهل ( يعني العباس ) الى خراسان من البصرة ولهم فيها منازل » .  
(٥) انظر دائرة المعارف الفرنسية الطبعة الثانية ١ : ١٠ - ١١ مقال عن العباس بن الاحنف لبلاشير .  
(٦) انظر تاريخ بغداد ١٢ : ١٣٠ - ١٣١ ١ : ٩٨  
(٧) انظر النجوم الزاهرة ٢ : ١٨٨ هذا على ان ابن تغري بردي

## راجع احبتك الذين هجرتهم

**ان التميم قلما يتجنب**  
**ان التجنب ان تكن منكما**  
**دب السلو له فمز المطلب**

وابر ابراهيم الموصلى غفنى غيه الرشيد فلما  
سمعه بادر الى ماردة فترضاها فسالت عن السبب  
في ذلك فمرعته فامرت لكل واحد من العباس و ابراهيم  
بعشرة الاف درهم وسالت الرشيد ان يكافئها عنها  
فامر لها باربعمين الف درهم (٩)»

هذا الى ان العباس كان قد رضى بعض حظايا  
الخليفة كما تنص على ذلك ابيات في ديوان الشاعر(١٠).  
والعباس ربما صاحب الرشيد في بعض اسفاره،  
ونحن نعلم ان الرشيد اقام حينا في الرقة الا اننا  
لا ندرى ان كان الشاعر قد صاحب الخليفة خلال هذه  
الاقامة الا انه من الثابت ان الشاعر صاحب سيده  
الى خراسان والرشيد على ما نعلم سافر الى خراسان  
مرتين الاولى عام ٨٠٤/١٨٩ والثانية ٨٠٨/١٩٣  
والشاعر صاحب في اولى السفرتين وسبق لك ان علمت  
ان حنينه الى بغداد غلبه على قلبه ففاض على  
لسانه شعرا نادى الى سمع الخليفة فاذن له  
بالعودة (١١)!

وكما تشير لنا بعض ابيات العباس نفهم ان  
الشاعر كان قد بلغ في بعض اسفاره الغرب(١٢) ومن  
يديرى ! فلعله كان بصحبة الرشيد ..

**انا من الحرب اقبلنا تؤمكم**  
**اتضاء شوق على اتضاء اسفار**

**فقلما متعوننا بالناخ بكم**  
**حتى استقلت وقد شددت باكوار**

**والصب لا بد ان يشكو صبايته**  
**اذا تبدل غير الدار بالدار !**

●●●

ومن الصعوبة بمكان ان نعلم ان كان العباس  
على صلة ببعض الابرار العباسيين الا اننا نعلم اعجاب  
المأمون ببعض شعر العباس(١٣) وكذلك ابن المعتز(١٤)

والموكل والواقف(١٥) والمعتصم(١٦)

ويبرز لنا اسم جعفر البرمكي بين المعجبين بشعر  
ابن الاحنف اذ يتخذ من بعض شعره مفتاحا لحل مشكلات  
الرشيد العاطفية(١٧) معززا بذلك خطوة البرامكة ،  
لدى البلاط العباسي . وعلى ان العباس كان حظيا لدى  
جعفر من جهة فقد كان مثار غضب يحيى بن خالد من  
جهة اخرى الا ان مراجعنا صامئة ازاء اسباب  
الغضب هذه(١٨)

وكان الفضل بن الربيع(١٩) يتخذ ايضا من بعض  
شعر العباس شفيعا الى حبابه(٢٠)  
اما ذات الحول وال طول ملكة البلاط الرشيدي  
زبيدة فقد اغدقت على العباس واغرقتة بالنفيس من  
الهدايا والبلغ من المعلق اعجابا بشعره وتقديرا لفنه.  
ولتستمع الى صاحب الاغاني يروي لنا على لسان  
الصولي هذه الحكاية :

« كنا في دار ام جعفر جماعة من الشعراء والمغنين  
فخرجت جارية لها وكها ملوءه دراهم فقالت ايكم القائل؟  
**من ذا يعيرك عينه تبكي بها**

**ارأيت عينا للبكاء تصار ؟**

فأومى الى العباس بن الاحنف فنثرت الدراهم في حجره  
فنفقضا فلقطها القراشون ثم دخلت ومعها ثلاثة نفر من  
الفراسين على عنق كل فراس بدره فيها دراهم فمضوا  
بها الى منزل العباس بن الاحنف (٢١)

ومن السائقين ان شعر العباس كان حظيا لدى  
نساء البلاط على الاخص ولا عجب فدماة العباس ورقته  
المفرطة كفيفة بالظفر باعجاب هذه الطبقة المترفة  
من نساء القصور ، ولعل هذه النادرة التي ستقرأها  
مروية لك في كتاب الاغاني تثبت ان شعر العباس  
كان بعيد الصوت لدى هذه الطبقة من النساء(٢٢)  
ولم يستحوذ شعر العباس على اعجاب الرشيد  
وحاشيته ونسائه حسب انما تعدادهم الى المغنين فلم



(١٦) الاغاني دار الكتب ١ : ١١٤

(١٧) الاغاني دار الكتب ٥ : ١٦٨ : ١٥ : ٨٠ - ونهايات الاعيان ٢٤١

(١٨) يروي لنا صاحب الاغاني على لسان ابراهيم الموصلى « ان

يحيى بن خالد البرمكي (المتوفى عام ١٨٢ : دائرة المعارف

الاسلامية ٤ : ١٤٣) كان ساهطا على العباس بن الاحنف لشعره

بلغة عنه واتفق ان لقيه فترجل له العباس واتشده

بالله يا غصبان الا رصيت اذاكر للهد ام قد نسبت ؟

فاجابه يحيى : بل ذاكر يا ابا الفضل ! - الاغاني دار الكتب

٥ : ١٦٨ - ديوان العباس : ١٢٣

(١٩) وزير الامين المتوفى عام ٢٠٨ - ٨٢٣ او ٨٢٤

(٩) انظر الاغاني (دار الكتب) ٥ : ٢٤١ - ٢٤٢ نقلتها طيبة

الكتب : ١٦٣

(١٠) انظر ديوان العباس ١١٠ : ٤١١ رثاء حيلة وتاريخ بغداد

١ : ٩٨ : ١ : ٢٩١ رثاء ضياء

(١١) انظر ديوان العباس مقطوعة ٥٦٢ والاغاني طيبة دار الكتب

٨ : ٣٧٢

(١٢) انظر الديوان ٢٧٨

(١٣) تاريخ بغداد ١٢ : ١٢٢

(١٤) تاريخ بغداد ١٢ : ٢٩١ والاغاني طيبة ساسي ٨ : ٢٣

(١٥) الاغاني دار الكتب ٨ : ٣٥٨ - ٣٦٣

يتالكوا الا ان يصوغوا له اعذب الالحان ليشيعوا في انفسهم وفي سامريهم الطرب ، وقد ظفر شعر شاعرنا بالنصيب الاكبر من الخطوة لدى الموسيقيين ولا عجب هؤلاء هم مبارغة الشعر يحسنون تقويته وهم من الرهافة والدقة بحيث لا تخفى عليهم خافية ولا يطيش لهم حكم .. وهل غير شعر العباس اجدى بالخطوة واحق بالاعجاب ؟

وكان ان غنى بسائر مقطعات العباس وتردد شعره على كل لسان .. ولعل ابيات العباس التالية كانت الاكثر حظوة لدى المغنين اذ غنى بها ابراهيم الموصلي وابنه اسحق ومخارق وابن جامع وسليم وعلوية .. ولعل خفنهما وموسيقاهما هما اللتان اغرتا بها كل هؤلاء ..

### نمام من اهدى لي الارقا

مستريحاً سامني قلعا

لو يبيت الناس كلهم

بسهادي بيض الحقا

كان لي قلب اعيش به

فاصطلي بالحب فاحترقا

انا لم ارزق موتكم

انما للمعبود ما رزقا (٢٢)

ولا يذهبن بك الظن ان هؤلاء الموسيقيين الذين عنوا بشعر الشاعر كانوا من عامة الموسيقيين انما هم اعلامهم طبقة وابعدهم شهرة وهم من كان يزدهي بهم البلاط العباسي وتشتمل بالحائهم آذان الخلفاء ، وقد اطرب ابراهيم الموصلي فيها بعد بشعر العباس سمع الخليفة المعتمد (٢٤) وطرب عليه ايضا عيسى بن المتوكل وتغنى جحظة كذلك بشعر العباس امام طائفة من الامراء تسمى لك منهم طرخان بن محمد بن اسحق (٢٥) واستحوذ شعر العباس من بعد على اعجاب الواثق والمتوكل حتى قيل انها وضعا الالحان بنفسهما لبعض شعره (٢٦)



ولم ينف شعر العباس بن الاحنف عند حد البلاط العباسي : خلفائه ونسائه وموسيقيه انما تعدها الى

طبقة الجواري هذه الطبقة الخاصة من النساء التي تميز بها العصر العباسي : الطبقة التي كانت تؤسم بميمس الطرب واسبابه جميعا : الجمال واللفظ والفن ، فقد كن برزات يخرجن الى الرجال يعرضن عليهم اسباب فنتهن وفيهن الشاعرة والراوية والمغنية وان شئت فقل الملهمة الملهمة المؤهبة .. هذه الطبقة من النساء افتنت بشعر العباس ووجدت فيه خير ميسم تزدان به في مجالسها واسرارها وقد افنت افنائها في عرض هذا الشعر وجلاء محاسنه ولك ان تقضي ساعة او بعض ساعة مع الوشاء في موشاء لتعرف الى اي مدى بلغ هذا الافتتان والى اي حد كانت اسباب هذا الفنون ولك علي ان اعرض عليك صورة او اثنتين لتبين حدة الاعجاب بشعر الشاعر من قبل جواري العصر .

فهذه عريب جارية احد الهاشميين تطرز قميصها بخيوط من ذهب ببعض شعر العباس او ربما حلا لها ان تفوق بشعره اذبال ثوبها (٢٧) ، وهذه اخرى تتوج قلنسوتها ببعض ابيات الشاعر (٢٨) وثالثة تزين عصابةها ببعض شعره ورابعة وخامسة .. وتلك اخرى يبلغ بها هوس الاعجاب حدا يدفعها ان تخضب بالحناء صفحة قديمها ببعض شعر العباس (٢٩)

وهكذا ترى ان شعر العباس كان على السنة وفي قلوب كل طريقت العصر : الخلفاء والامراء والحاشية والحريم والموسيقيين والجواري وحتى الشعراء انفسهم (٣٠) ولك ان تختصر القول فتقول ان شعر العباس كان اغنية الخاص والعام ، ولا عليك الا ان تصفي معي الى هذه الرواية :

« اخبرني احمد بن عبيد ، قال : اخبرني الاصمعي ، قال : رايت ابا السائب المخزومي متعلعا باستار الكعبة وهو يقول : اللهم ارحم العاشقين ، واعطف عليهم قلوب المشوقين بالرامة والرحمة يا ارحم الراحمين ، فقلت : يا ابا السائب افي هذا المقام تقول هذا المثل ؟ فقال : اليك عني ، الدعاء لهم افضل من حجة بعرة ثم انشأ يقول :

(٢٠) طبقات ابن المعتز : ١٢٠ - اغاني سامي : ٨ : ٢٢

(٢١) اغاني دار الكتب : ٨ : ٣٦٩

(٢٢) انظر الاغاني (سامي) : ١٧ : ٧٧

(٢٣) الاغاني دار الكتب : ٣٦٦ : ٣٦٧

(٢٤) الاغاني دار الكتب : ١٠ : ١١٤

(٢٥) الاغاني : ١٠ : ١٢

(٢٦) الاغاني بولاق : ٨ : ٢٠

(٢٧) الموشى : ١٦١

(٢٨) الموشى : ١٧٠ - العقد الفريد : ٦ : ٢٦٦

(٢٩) الموشى : ١٨٢

(٣٠) يروي لنا التويري ( نهاية الارب : ٥ : ١٠٢ - ١٠٤ ) محاضرات

الانبياء : ٢ : ٢٤ ، ان ابا المعاهية نفسه لا يبعث شعر العباس فاعا عن حبه لمبة على مسمع من الخليفة المهدي .



على شيء فاني يدل على اعجاب ابي نواس البالغ به ،  
انه يصفه بمثل هذا :

« هو ارق من الوهم وانفذ من الفهم وامضى من  
السهم » .

وهذه كتب الادب تنقل لنا بين الفينة والفينة  
صورة من اسرار العباس وابي نواس وما يدور فيها  
من مطارحات شعرية على حين تصطلق الكؤوس  
بالراح وتشتف الملهيات الاسعاع ويضوع المجلس باتفاس  
الورد والريحان .

ودونك هذه المناظرة المثبتة في طبعنا المحققة  
لديوان ابن الاخنف (٣٦)  
قال ابو نواس :

اذا ارتدت فتى الكاس  
فلا تمذل بعباس  
فقال العباس :

اذا نازعت صفو الكاس يوما  
اخا نقة فمئل ابي نواس  
فتي يشدد حبيل الود منه  
اذا ما خلعة رئت لتاس

فقال ابو نواس  
ابا الفضل اشربن ذا الكاس اني شارب كاسي  
فقال العباس :

تعلم يا اوحسد الناس  
على العينين والراس  
فقال ابو نواس :

فقد حف لنا المجلس بالسريرين والاس  
فقال العباس :

واخوان بهائل سرة سادة الناس  
فقال ابو نواس :

وخود لذة المسوع مثل الفصن الكاسي  
فقال العباس :

وقد البسها الرحمن من احسن الباس  
فقال ابو نواس :

يا هجر كف عن الهوى ودع الهوى  
للمعاشقين يطيب يا هجر  
ماذا تريد من الذين جفونهم  
قصرى وحشسو صدورهم جمر  
وسوابق العبرات فوق خدودهم  
هطلا تلوح كأنها القطر  
صرعى على جسر الهوى لتساقطهم  
بنفوسهم يتلاعب الدهر (٣١) «

●●●

وكانت للعباس بن الاخنف صلات بالطبقة الاولى  
من شعراء العصر وهي صلات ودية في الاغلب وما  
عدها فان هي الاخلاصات في المذهب حيناً (٣٢) او  
حسد على مكانته حيناً اخر (٣٣) ولا عجب فرجل  
كالعباس ، ذو مكان وجاه ، لا يخلو من مخالف او حاسد ،  
والعباس بطبيعته على ما تصوره لنا كتب الادب شخصية  
حبيبة الى النفس جذابة للاصدقاء فهي ابداء كالورد  
العذب كثيرة الزحام .  
استمع الى ابن اخته الكاتب الشاعر ابراهيم  
ابن العباس الصولي يرسم لك جانباً من صورته  
المعنوية :

« كان والله من اذا تكلم لم يحب سامعه ان  
يسكت وكان فصيحا جميلاً ظريف اللسان لو شئت  
ان نقوله : كلامه كله شعر لقلب » (٣٤)  
ويرسم لنا الحصري صورة اكمل للعباس اذ يقول  
متحدثاً عنه :

« كان احسن خلق الله اذا حدث حديثاً ،  
وأحسنهم اذا حدث استيعاباً وأمسكهم عن ملاحاة اذا  
خولف .. وكان ملوكي المذهب ظاهر النعمة حسن الهيئة  
وكانت فيه آلات الظرف ، كان جميل الوجه غارم المركب  
نظيف الثوب حسن الانفاذ كثير النوادر رطيب الحديث  
باتقيا على الشراب كثير المساعدة شديد الاحتياط ولم  
يكن هجاء ولا مداحاً فقد كان يتنزه عن ذلك » (٣٥)  
وهذا ابو نؤاس يسأل عنه فيجيب واصفا اياه  
وصفا ادنى الى الشعر منه الى النثر وهو ان دل

(٣١) انظر الموشى : ٨٩ - ٩٠ .

(٣٢) كان ابو هذيل التالف المعزلي ممن به ميل عن العباس لان

العباس قذري وهو خلاف مذهبي غير شخصي

(٣٣) كان بنفسه ابو المعانيه على العباس بعض ابيانه !..

(٣٤) اغاني دار الكتب ٨ : ٢٥٣

(٣٥) زهر الاداب ٢ : ٩٤٤

(٣٦) مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٥٤

## فقد زينت باكليل يوافيت على الراس فقال العباس :

فلا تجبس اخي كاسا  
فاني غير حبّاس (٣٧)

وابو بكر الصولي يروي لنا انه قرأ في كتاب لابن خرداذبة ان ابا نواس ومسلما بن الوليد « صريح الغواني » والصين بن الضحك « الخليفة » والعباس ابن الاحنف خرجوا ذات يوم للزهوة ويحيى بن المعلى وادركتهم صلاة المغرب وهم في الطريق فجمعوا من ابن المعلى اماما يؤمهم في صلاتهم الا ان يحيى هذا نسي الحد وقرأ قل هو الله احد وارتج عليه في نفسها ، فقال ابو نواس اجيزوا :

أكثر يحيى غلطا

في قل هو الله احد  
العباس :

قام طويلا ساهيا

حتى اذا اعصى سجد  
مسلم :

يؤخر في محرابه

زحر حبلى بولد  
الخليفة :

كثما لسانه

شد بحل من مسدود (٣٨)

وكما كان العباس حبيبا الى قلوب اصفيائه كذلك كان الى اقربائه فانت قرأت منذ قليل رأي ابن اخته ابراهيم بن العباس الصولي فيه وهو رأي يدل على اعجاب شديده به ونحن نقرأ من حين لحين آراء جميلة لابراهيم في خاله العباس فتارة نراه يثني على

شخصه واخرى يمتدح شعره وثالثة يدفع عنه كيد الخصوم ورابعة يرغمه فوق الشعراء (٣٩)

اما ابو العتاهية فعلى ضوء ما يلوح لنا خال بعض الروايات كان ينفس على العباس بعض شعره ذلك لان ملكة العباس غير ملكته وان ما اوتيه العباس من حيث الموضوع والاسلوب لم يؤته ابو العتاهية فلا غرو ان تقوم المنافسة بين متعاصرين يبرز واحدهما الآخر في بعض ميادين الادب : ومع كل ذلك فالمعلقة بين الرجلين يمكن ان تصفها بانها ودية فقد كانت تضمها مجالس ادبية يحضرها ابن النطاح (٤٠) ومنصور النيري (٤١) والعتابي (٤٢) وابو العتاهية كان يري في مثل هذه المجالس معجبا بشعر العباس يثني عليه ..

استمع الى الخطيب البغدادي ينقل لنا هذه الحكاية في تاريخه :

قال : كنا في مجلس وفيه ابو العتاهية والعباس ابن الاحنف وبكر بن النطاح ومنصور النيري والعتابي فقالوا لمنصور : انشدنا ، فأنشد مدائح الرشيد فقال ابو العتاهية لابن الاحنف : طرفنا بملحك فأنشد ابياته :

تعلمت الوان الرضا خوف عتبه

وعليه حبى له كيف يقضب  
ولي غير وجه قد عرفت مكانه

ولكن بلا قلب الى اين اذهب !  
فقال ابو العتاهية : الجيوب من هذا الشعر على

خطر ولا سيما ان صنع بين خلق ووتر فقال بكر : قد حفرني شيء في هذا وانشد :

ارانا معشر الشعراء قوما

بالسننات تعمت القلوب

اذا انبعثت قرائحنا اتينا

بالبقايا تشقى لها الجيوب

النسب يجو من الزعم والشك ) . وابراهيم الصولي هذا شغل في دولة بن العباس منصب الكاتب ثم اشتهر كشاعر بسدح الخلفاء والاراء وقد خلف وراءه مجموعة طيبة من الشعر الغلب الجزل اضافة الى نثره المتيقن وقد جمع بذلك الصناعتين وهو حفيد العلالة ابي بكر الصولي ونحن مدينون له بلزاحة السمار من شخصية العباس ورسم صورة رائعة منه ، انظر الانثى دار الكتب ٢٥٢

(٤٠) بكر بن النطاح : بصري استوطن بغداد وشاعر عاثر اوائل القرن الثالث ، انظر تاريخ بغداد ٧ : ٩٠

(٤١) منصور النيري : شاعر عباسي عاصر الرشيد ، انظر الشعر والشعراء ٥٢٥ - ٥٢٨ ، والاغاني ١٢ : ١٦ - ٢٤ ، وتاريخ بغداد ١٢ : ٦٥ - ٦٩

(٤٢) العتابي : شاعر عباسي من القرن الثالث انظر المقالة في دائرة المعارف بالفرنسية ، الطبعة الثانية المجلد الاول .

(٣٧) للمناظرة قصة راجعها في ديوان ابي نواس ٣٠ - ٢١ ومعاهد التضييق ٤٢ - ٤٣ ، انظر كذلك زهر الاداب ٩٤٤ ومعارف العتاشي ٣٠٦ - ٣٠٧ ، وبدائع البديهة ١٢٣ ، والعمدة ٨٩ - ٩٠ ، ٩١ : ٢ - ٩١ ، ٩٢ : ٩٢ ، وديوانه : ٢٧١

(٣٨) العمدة ٢ : ٩١ - ٩٢ ، انظر الانثى طبعة دار الكتب ٨ : ٣٦٥ اخذ في الانشاع والمؤانسة ٢ : ١٤٥ وزهر الاداب ٢ : ٦٣٠ والصناعتين ٦١ حاشية من ابراهيم بن العباس الصولي :

لم يقع في علمنا تاريخ زواج اخت العباس من ابي ابراهيم ، العباس بن محمد والذي يرتفع بنسبه الى عائلة عريقة من جرجان ( الواقعة الى الجنوب من بحر قزوين ) انظر : زهر الاداب ٢ : ٩٨٢ وتاريخ بغداد ٦ : ١١٧ - ١١٨ ، ١٢ : ١٢٨ - ١٢٩ وخصوصا انظر : وفيات الاميان ١ : ٢٧ وانظر ايضا مروج الذهب ٦ : ٥٩ ( بحبل المسعودي هذا

فقال العتابي :

ولا سيما اذا ما هيجتها

بنان قد تجيب وتستجيب

قال النضر : عما زلت معهم في سرور وبلغ اسحاق  
الموصلي خبرنا فقال : اجتناب هؤلاء ظرف الدهر !  
اما علاقة الشاعر بمسلم بن الوليد فتبدو غائرة  
ذلك لان بعض المراجع تروي لنا ان مسلما هذا هجا  
العباس لانه نسي اليه انه قال عنه « هذا صريح غيلان  
لا غوان » ! فانبرى بهجوه ويشكك بصحة نسبه ويقتل  
من هيلة قبيلته :

بنو حنيفة لا يرضى الدعي بهم

فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا

اذهب الى عرب ترضى بنسبتهم

اني ارى لك خلقا يشبه العربا(٤٣)

ولم يكن الاصمعي — العلامة اللغوي الراوية  
الشاعر المتوفى نحو ٨٢٨/٢١٣ — (٤٤) — ذا رأي  
جميل بالعباس .. فهو يرى تارة يطعن بنسبه(٤٥)  
واخرى يمدحها بشعره(٤٦)

ويشار بن برد شاعر الجيل اذ ذاك وشيخ  
القريش ماذا كان يرى في العباس ؟ وما كانت صلته  
به وهو الفتى الطرير والظلام الناشئ في دنيا القريش  
يومذاك ؟

ان كتب الادب لا تنقل لنا الا بعض رأي يشار  
الشيخ في العباس الفتى مترجما بما نسه ، قال يشار:  
ما زال فتى من بني حنيفة يدخل نفسه فينا  
ويخرجها منا حتى قال :

نزف البكاء دموع عينك فاستعر

عينا لغيرك جمعها مدرار

(٤٣) انظر الشعر والشعراء ٢ : ٨٠٣ ، وطبقات ابن المعتز ١١٩ ،

وتاريخ بغداد ١٢ : ١٢٨ ( نقل عنه معاهد النصوص ٣٦٦ ) وحول

علاقة العباس بمسلم انظر ايضا بدائع البدائه ١٢٣ .

(٤٤) انظر تاريخ الادب العربي لبلاتشير بالفوسية ص ٧٥

(٤٥) اغاني دار الكتب ٨ : ٣٥٥ — ٣٥٦

(٤٦) الورقة : ٣٠ — ٣١ مأخوذ في الفيت المسج ١ : ٢٦ — ٢٧

(٤٧) انظر التشبيهات ٨٦ ( ينقول في امالي القاضي ١ : ٢٠٨ — ٢٠٩ ) ،

وزهر الاداب ٩٤٣ — ٩٤٤ ، وخاص الخاص ٩٢ — ٩٣ ، وتاريخ

بغداد ١٢ : ١٣٠ ، وتاريخ ابن الوردي ١ : ٢٠٨

من ذا يعيرك عينه تبكي بها

ارابت عينا للبكاء تعار ؟(٤٧)

●●●

وهكذا ترى معي ان شعر العباس تغفل في  
المجتمع البغدادي على اختلاف طبقاته واناسيه ، فقد  
تخطى البلاط الى الشعب ، والعلباء الى العباة  
وسيدات القصور الى الجوارى والفتيان . وكذلك  
الشعر الاصيل : صدها في كل اذن ووقعه في كل قلب  
ولا مدى له او حد ..

رحم الله العباس .. لقد ضرب لنا المثل الاعلى  
لظرف الشعراء وشعر الظرفاء .. وخلد لنا اجمل  
صفحة في تاريخ الشعر العربي على توالي العصور ..

الدكتورة عاتكة الخزرجي

كلية الآداب

جامعة بغداد

قريباً  
يوم نقيم المفكر

ديوان شعر

محمد الفايز

الرائد

المجلة لصاورة عن

جمعية المعلمين الكويتية

تصدر صباح كل خميس

كلما استعرضت ذكريات سني  
الماضية في قريتنا الوادعة بين التلال  
والكتبان الرملية ، مثلت أمامي  
شخصية « أبو حديد » العجيبة ،  
وكانت تحفر نفسها — برغمي — في  
لائحة الذكريات التي لا تنسى .

كانت شخصية متعددة الوجوه  
.. صلبة لان صاحبها يتحدى ليس  
الدين والإعراف والأخلاق وحسب ..  
بل والله سبحانه وتعالى ، وأي بشر  
يمثل هذا الأفلاس يتجرا على التجديف  
بالله ..

كانوا يلقبونه بابي حدين لانه  
متناقض لمن يعرفه .. مختلف لمن لا  
يعرفه ، فهو في قريته أكثر وضوحا  
وتعريا لواقعه السيئ .. وهو في  
المدينة على صورة أخرى أكثر نقاء  
وحسنا . هو في قريته زنديق مارق ،  
وفي المدينة متدين يصلي بعائلة أحد  
الوجهاء !

وكان أعمى البصر .. ولكن لكل  
جراحة فيه عشر عيون .. وكانت  
بصرة هذا الشقي نافذة ، وله لسان  
إذا كلم به البعض سال عسلا .. وإذا  
لسع به آخرين تخدروا من سمه !  
وكننت أجده في بعض بيوت القرية  
يحادث النساء المسنات فيبكي ويبكين  
.. ويهز ببيانه وقصاحته نياط قلوبهن  
الهزيلة ..

وبحكم كونه أعمى و « مطوع »  
يحفظ جل القرآن ، فمن يأتسن بدخوله  
.. ويتخلطن حوله طلبا للاجر في  
الاستماع منه لأيات القرآن والتذكير  
بالآخرة ! ..

وله أسلوب نفسي مؤثر وكانه  
متخصص في علم النفس والإرشاد ،  
فإذا حضر نسوة أكثر جاذبية وفتوة ..  
ساق قصة تناسهين كقصة يوسف  
عليه السلام وزليخه ..! فيطبلن منه  
تكرار سرود المواقف الجنسية في  
القصة .. وقد ارتتمتن باللذة كما  
هو !

أما في أيام الجمعة فكانت أشاهده  
وقد جلس القرمصاء في ساحة المسجد



# أبو حديد

قصته  
قصته  
بقلم

حمد الزيد



فهو قوي البنية ، شاب العمر ، يحمل في يده « نوتا » .. من الخيزران .. وانكر اني صانحته — مرة — فعرفني وسألني .. رغم اني لم اصافحه من قبل الا منذ عدة سنوات وسمعته في لحظة صفاته يروي هذه النادرة الخبيثة :

— عندما كنت في الخامسة عشرة من عمري الجديد .. مات ابي فلما سجي وخرجت ابي تسعى الى من يجهزه . تحصصت بيدي جسده البارد ، وكانت المرة الاولى التي لمس فيها صدره وظنوه وارداؤه ، فوجدته غصبا .. مكتنزا ، ولكم تنبت — ايها الاخوان — ان اتدده واملحه ، فما اشبه لحمه مع « الرقوق » وقد حرمني فقره اللحم حيا ..

وجاء مرة احد رجال القرية الفضلاء وله عليه نقود فرد عليه : — اذا دخلت النار .. فاسلك الطريق الايسر ، ثم انصرف بيما .. ثم اعبط في الدرك الاسفل من الجحيم ، وسجنوني هناك وسارني لك المبلغ فغصة او ذهباً — كما تريد — وعندما تأخذهم يوكيك لانه حام .. فنقله من يد الى اخرى ثم ترميه على وتخرج مسرعا راضيا من الغيبة بالاياب .. وكان يفتي بما يعلم وما لا يعلم .. ليس في الامور الدينية وحسب بل وفي العلوم الاخرى والتاريخ !

وكتا مرة في « النادي الصيفي » نصح كلية احد الطلاب التي سبيلها في الحفل الخطابي — وورد فيها ان الذي اخترع الطائرة هو « هنتر » فلما سألناه عن مصدر ادعائه ، قال : انه لا يعرف اسم المخترع فسال ابو حدين واجابه بذلك !

وهكذا كان « ابو حدين » يمضي فصلا من كل عام بقرتبه — على هذه الحال — ثم يعود الى المدينة بقبعة العام . ولكن بجبة الدراويش كي ينتزع لفتته ..!

السعودية :

حمد الزيد

اعى فقد كان يكتفي بالثلث يمنية ويسرة .. والتقدم او التأخر عدة خطوات هستيرية وكيل الثمنائم وترديد :

— عرفتك يا ابن الزانية ..  
— ساميتك يا ابن الملعونة اذا امسكتك !

واصلدم به — مرة — حصار مسرع ! فغصبه شخصا يؤذيه فهتف : — معروف يا ابن الكافرة !  
وكان الشباب في اذاهم له لا يتنادون .. بل يضحكون ضحكا مخفوقا خوف ان يعرفهم ، فقد وهب حاسة سمع وفهم نادرة ، تعرفه بالشخص من اول ضحكة تند عنه ، وكان من يقع في يده يتعرض للعذاب ،



الجامع يرثل القرآن الكريم ترتيلا يلاسر الاياب .. فيحيط به الجع الغفير .. يطره بعضهم بالدعاء والثناء .. والبعض الاخر بالفمز واللز !!

وكننت استمع اليه عندما يجلس الى المسنين في سوق القرية المركزي يجادلهم في امر الآخرة .. وينصحهم بالابتعاد عن الشهوات والمعاصي ! .. ويسوق الايات والاحاديث .. والجميع يحسبونه بحرا لا يتفد من العلم .. وناسكا زاهدا من اهل الطهارة ..

كما كنت امر عليه في بعض طرقات القرية وقد توسط حشدا من المراهقين والصبية .. يغني لهم او يماجنهم او يروي لهم القصص الغريبة ويلبس في حديثه الف لباس ، فاذا سب رمى باقذع الالفاظ واذا شتم كفر واذا تلطف ساق نكاته البذئية حتى على الاخيار والانباء والله عز وجل ! ولكي يستحوذ على الاعجاب — الساخر — يقول انه يصلي بلا وضوء .. وبينما الاسام يقرأ كان يغني .. وبينما الملون يسبحون في الركوع والسجود كان يقلد زقزقة فراخ الحمام ! بل يصل به التجديف الى حد تلحين بعض سور القرآن القصيرة وغنائها ..

وكان ابو حدين .. برغم كل هذه الرشاوي مكروها عند الجميع — عدا الشباب والمجانز — الذين يجهلون سلوكه المنحرف ، فكان يتعرض لصفوف الاذى من الصبية والشباب .

من ذلك .. انه كان يقضي حاجته — على طريقة سكان القرية — في العراء وكان على حافة حفرة فدفعه احدهم من خلفه دفعة قوية دحرجته الى قاع الحفرة في منظر مضحك ومقرم بما !

ومرة اخرى كان يقف تحت جدار منزله فتأثر حشد من الشباب للتسلي به فاعاخذوا يذففونه بالحجارة والطين الرطب من كل جانب .. وبحكم انه

# انتم سلاحها

قصيدة من  
الشعر الشعبي

عبدالله  
عبد العزيز  
الدويش



عقد في العراق الشقيق « مهرجان المثنى للشعر الشعبي » في  
مدينة السماوة ، ما بين التاسع والحادي عشر من تموز ١٩٧٢ ،  
اشترك به شعراء شعييون من مختلف أنحاء العراق ، ودعي اليه من  
الكويت الشاعران المعروفان : عبدالله عبدالعزيز الدويش ، وفاق  
عبد الجليل ، اللذان القيا في الامسية الثالثة قصائد من نتاجهما .  
وبسرنا ان ننشر ههنا القصيدة الطيبة التي القاها في المهرجان  
الملكور ، الشاعر عبدالله عبدالعزيز الدويش ، امين صندوق رابطة  
الابناء في الكويت وعضو مجلس ادارتها .

(( البيان ))

فنيالك لو تَزْهي ليالي افراحها  
لا بد ما يكثر زلالها وراحها  
كم جَبَّعت ناس ولَّمت بشبلمهم  
وكم فَرَّقَت ناس بعالي نياحها  
دنيا نراها توري الخير الى اقبلت  
والى اديرت بنت جدايد لياحها  
يا اهل الوفا يا اهل الكرم والحيَّة  
يا من الى نادي المفادي بصياحها  
انتم حصنها وانتم اليوم سورها  
يا عرب يا اهل المجد انتم سلاحها  
يا من الى صار الخيال بجالها  
بايمانكم يا ذرْبين الايمان صلاحها  
اوطاننا وقت اللزوم ما تُرْخص بها  
من دونها الابطال تفدي ارواحها  
انتم لكم بالماضيات فعائل  
واليوم جددتوا مواضي كفاحها  
اعواد القصب لي جمعت ثم شدت  
بحزمة والى افنلت تطاير رماحها  
عزَّ العرب عوالي بشامخ العلا  
صيت ولا والله نزل في سفاحها  
الى حى نار الوطيس تطايرت  
صوت المدافع مثل رعد صياحها  
نحمي وطننا وكل شبر منه غيالي  
وكل تربعة منه تعادل جناحها  
وين الذي شادوا وسادوا وعزَّزوا  
ورزوا رايات الفرح في وشاحها

راخوها وخلوها لناس بَعْدَهم  
بنوا بروس العز شامخ لياحها  
سقى العزائم في بجور تلاطمت  
هبت هبابها وزادت ارباحها  
من لا بوقت الضيق ما ينزل السخا  
واشخانته وقت الرخا في فراحها  
فان كنت ربَّان وقايد سفينتك  
لياك تخلف بالمجاري سماحها  
اسند وخل مجراك يا طيب اللقا  
ومسراك في همّ ترى الدر منه  
فوقه من الحصار يملئ صفاحها  
وبالراي حكم في مقاسك وعززه  
ولا كلمة الا وشذى الطيب فاحها  
يا من بحكل الراي يغفل برايه  
صراف قاف كلمة الطيب باحها  
يصوغ المعاني شاهر في كلامه  
وعن كلمة النقصان ما يوم لاحها  
ولا ببيدان القنوع عشر وهو  
لايس بثوب العز ضائي شلاحها  
حيد سيذغ راوي كل قصه  
وبصفحة التاريخ سجل كفاحها  
لله در المكارفين التثامها  
الى بوقت الضيق تشهر سلاحها  
لا بد ما تكثر زلال صفاي  
فنيالك لو تَزْهي ليالي افراحها



# ناظم حكمت

صوت ونبرة من هذا العصر

بمعلم  
خيري  
منصور



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

## للاقلبي الضيق .

والاسماء الكبيرة لانها ذات عطاءات كبيرة وخالدة .. لا تكاد تذكر باعصرنا حتى يبرز بينها « ناظم حكمت » هذا العصر الذي شهد ميلاد الشاعر العربي المتناضل والمنفي عن لفته (مالك حداد) وشهد ميلاد لوي آراغون، وايلوار ونيرودا وآخرين ، وقتلوا ورفعوا ايديهم احتجاجا رغم الدماء التي يسبح بها كوكبنا الصغير هذا ، ورغم الاضطهاد ، والفتك اليومي بالإنسانية الانسان ، وقتلوا يغنون مجد هذا الانسان وطبوحاته / ولم يتقوتعوا في دائرة الذات الضيقة وهمومها البحتة ، كما ذهب بروتولت برخت في تصائد اعتذاره للاشجار والغابات والنجوم .. اذ لو ان الشعراء الآن تغنوا بهذه الرومانتيكية فهذا يعني انصرافهم وصتهم عن المنيعة

قدر للإنسانية منذ اقدم العصور ان تلد اعظم ابنائها في المراحل المعتمة من مسيرتها الطويلة ، وكان ولا يزال في مقدمة هؤلاء المواليد الذين باتون فجأة ويرحلون كما اتوا الشاعر حادي رحلة العذاب والامل ، وما كانت يوما تضاريس العالم وجغرافيته تصلح معيارا لتصنيف الشعراء العظام ، فهم يتدفقون في كل اللغات وعلى كل الالسنه ، لان هبوم الانسان مهما اختلفت في تفاصيلها الدقيقة يبقى لها اطارها الواحد وقاسمها المشترك ، من هنا يصبح قريبا لدينا المعنى المقصود به شاعر معين حين يقال عنه بانه « عالمي » فالمسألة ليست بانتشار الاسم خارج حدود وطن الشاعر حتى تتحقق هذه العالمية كما يظن البعض ، قد يكون هناك شاعر تنتظر البشرية عشرات بل مئات السنين حتى تكتشف من خلال باحثها نزوعه الإنسانية ، وتجاوزه



التي تمارس في مستعمرات كثيرة وأوطان لا تكف عن شرب دماء أبنائها وهي تتعرض للنهب وسيطرة الغزاة .

وأول ما عرف الشعب التركي ناظم حكمت السدي أصبح صوته الحقيقي والصادق بعد ذلك .. أثناء احتدام الثورة وأعلان عصر الجمهورية عام ١٩٢٣ ، حيث لفت الشعار الشاب انذاك الانتظار حوله وحول أغانيه البالغة البساطة والصدق فأرسل في منحة دراسية الى روسيا لدراسة علم الاجتماع .

وقد اتاحت له فرصة السفر هذه مناخا جديدا للاطلاع والثقافة فنهل من منابع الشعر الاوروبي الحديث الذي مثل ت.س. اليوت وأودن وباوند أهم أعمدته ، واتاحت له في الوقت ذاته التعرف على شعراء روسيا العظماء ، فتعرف على شعر بوشكين والكسندر بلوك وان كان قد تأثر كثيرا بالشاعرين الشايفين فلاديمير ماياكوفسكي وسرجي يسنين ، هذا بالإضافة الى معاشيته عن كُتب للنحول الجذري الذي كانت تشهده روسيا في تلك الاعوام التي اعتبرت ثورة اكتوبر ١٩١٧ واستيعابه للفكر الاشتراكي وتمثله له . كل هذه الظروف مجتمعة مهدت للشاعر كي يفجر اللغة الجادة التي انحبس فيها الشعر التركي فترة طويلة حيث سيطرة القوالب القديمة والمعمار التقليدي على القصيدة ، ومن ثم ابتعادها عن العصر ، وعن لغة الشعب ، وكما سبق وقلنا عن تأثر ناظم حكمت برواد الشعر الاوروبي، ودعوتهم الى استغلال لغة الحديث اليومي كإداة للشعر .. دفعه هذا التأثر مضاهيا حصة الشعب والخلابة للخروج من الدائرة الضيقة التي كانت تحاصر شعراء تركيا التقليديين ، وعرف كيف يعلو فنيا بلغة الحديث اليومي لا ان يهبط بالفن الى تفاصيل الحياة اليومية بعكس شعراء اخرين فهموا المسألة بشكل قاصر وظنوا لغة الحديث اليومي ان يسبك الشاعر بضع كلمات تتردد في الخاتمي والشارع دون قدرة على الانتقاء والصياغة الفنية ، ان قدرة الشاعر على المزج بين اكثر المواضيع تابينا جعلت شعره في مصاف الشعر العظيم ومثلما مزج لوي أراغون بشكل يستعصي على التفريق بين عيون « الزا » الحبيبة وفرنسا الوطن فان ناظم حكمت يذلل ذلك وهو يعني فلا تكاد تعرف عن ايها يعني ؟ استأبيل وتركيبا الوطن ما زوجته التي تنتظر خارج بوابة السجن .

وكان لا بد من الاصطدام مع اعداء الانسانية وغزاة اعراسها . في سن مبكرة ، طورد الشاعر وعذب من قبل الانجليز وهو ما زال في الثانية عشرة ، وما ان عاود من بعثته الدراسية في موسكو عام ١٩٢٥ حتى قدم للحكومة بتهمة الكتابة عن الثورة وحكم عليه بالسجن لمدة خمسة

عشر عاما ، استطاع ان يهرب من قضاها في السجن بعسونة بعض اصدقائه خفية ، وظل بعد ذلك اكثر من عشرة ايام ينتقل من مدينة الى مدينة ومن منفى الى منفى ، اضطر اثناء ذلك ان يبارس مهنا كثيرة سرية وعلمية كي يضمن لقمة الخبز عمل عامل مطبعة كما سبق لبول ابولار شاعر المقاومة الفرنسية ان فعل ، وترجم وكتب المقالات الوطنية باسماء مستعارة ، الى ان عرف بعد ذلك بان « اورخان سليم » لم يكن الا اسما اخر لاناظم حكمت المطارد .

لم يكن كل ذلك يحول بينه وبين طموحاته التي هي جزء من طموحات الانسانية ، وكما كتب « بروتولسد بريخت » مرة : يجب ان نناضل ونستمر حتى ولو اضطررنا لتغيير مدينة بأخرى كما نغير الحذاء .. هكذا فعل ناظم فقد أخرجت له المطابع ابان هذه الفترة القصيرة والشاقة ثلاث مسرحيات وما يقارب من عشر مجموعات شعرية كلها كتبت بلغة مزجت بين الشعر بمستواه الفني الرفيع وبين لغة الشعب الحارة .. كان الشاعر يرى ان مثلا شعبيا او حكمة تتناقضها الاجيال .. هي كتبت لثغرة شعب طيلة قرون ، ويجوز عن صياغتها شاعر واحد او فنان واحد ، فيصوغها شاعر كبير خبر المئات ونقص خبزه فيها .. هو الشعب نفسه ، من هنا أصبحت للشاعر لغته الواضحة والمقروءة فترددت اشعاره على معظم السنة مواطنيه واستوعبت احاسيسه لغات كثيرة اخرى ، لقد ترددت رسالته التي ولده ( يعبد ) من المنفى في بلدان كثيرة وهو يصرخ :

« وطني في الشاطئ الآخر  
وانادي من « فرنسا »  
اتسمعني يا ولدي :  
البحر الاسود يتدفق ابدا  
وانا حينئذ ليك جنون  
اتدرك : محمد .. محمد .. محمد  
هل تسمعني يا ولدي ؟ »

وفي عام ١٩٣٨ بذات المواجهة بين الشاعر واحلامه من ناحية وبين صلادة الواقع وعناده من ناحية اخرى تأخذ شكلا اكثر جدية وزخما ، فها هو اليوم مقبوض عليه بتهمة التحريض بحاكم ويحكم عليه بالسجن ثمانية وعشرين عاما .. يسلم منها داخل صقيع الاسمنت والحديد ثلاثة عشر عاما .. ولا يشرب اليه ياس او خسار ، وقد للشاعر ان يعطي افضل ما لديه وهو في السجن ، فما تكاد احدى قصائده تتم حتى تتناقلها اوساط ادبية كثيرة في العالم . والشاعر لم يبالغ بجزوه ايدا ، ان صدقه جعله يلتقط ادق الجزئيات

ويعبر عنها شعرا فهو في السجن يتلقى رسالة من زوجته :

« يا حبيبي ، من سريري اكتب اليك  
تطلعت في المرأة ، فاذا بالخضرة تكسو وجهي  
ما اتسى البرد ، اولن ياتي الصيف ؟  
وثلاثون جنبها نين وقود الاسبوع الواحد  
ما اتسى الليل ، انام فاحلم اني في افريقيا  
ومرة رايتني في الجزائر ،  
احسست دفئها ، لكن رصاصة اصابتني  
واخترقت جبهتي ،  
انسكب الدم .. ولم امت »

الشاعر هنا وهو يغني على لسان زوجته رغم  
السجن والتعذيب ثم ينس الجزائر وافريقيا والشعوب  
التي كانت تدفع الضريبة من حيوات احب ابناؤها يوميا  
من اجل الحرية .

ولم يتوقف عن ذلك النوع من الكتابة الملتزمة بهومو  
البشر ، فبعد هذه القصيدة باعوام كثيرة .. كتب قصيدة  
بعنوان « بور سعيد » يتحدث فيها عن طفل مصري اسمه  
منصور يطوف المدينة وهو يحمل صندوق خشب يمسح  
عليه احذية الآخرين ، وهو حافي القدمين ، حتى حين  
يتحدث ناظم بالرمز ، فالشغافية هي الغالية وهكذا  
تبقى في جميع الحالات العلاقة بينه وبين قاريء شعره  
ثالثة :

« كان منصور نحيلاً اسمر  
كنواة البلح  
ساحر الصوت يغني دائما دونما انقطاع  
كصلاة في فمه  
( ليل ، يا عين )

اشعلوا النيران تذرو « بور سعيد »  
مات منصور بها ، ورأيت اليوم وجهه  
في صحيفة ، وسط الوتني صغيرا كنواة البلح »

وكان قد كتب هذه القصيدة اثناء العدوان الثلاثي  
على مصر عام ١٩٥٦ وكان يقبع في تشيكوسلوفاكيا ،  
ويبلغ اروعه حين يمزج كل هذه القضايا الانسانية مع  
تجربته الذاتية ، في بعض قصائده التي لها بعد زمني  
ومعاناة الحس بالتهديد والفقدان ، يقول في قصيدة  
« ماذا يبقى ؟ » :

تبدو بلدة « بالاتون »  
كبطاقة بريدية

والشمس الفاربة هناك  
كبرتقالة او ليمونة

تري .. ما الذي سيقضي في ذاكرتنا ؟  
— ما شيء سوى اصوات او الوان  
هل يبقى الحزن كذلك في اعماق القلب ؟؟»

وقد احس ناظم كغيره من شعراء هذا القرن  
بخطورة التجربة التي يحياها البشر ، وقد تفسخت  
العلاقات في القرن العشرين واصبحت الانانية تفتقر  
كل القيم وكل ميل للانبار ، لكنه لا يهرب الى عالم  
وهي كما فعل من اقتنوا اثار الرومانتيكية ولم ينلق عليه  
الحجرة تاركا « الارض الخراب » تמיד بسكانها كما فعل  
اليوت ويخلدوه في العالم المتخلف .. بل واجه كل ذلك  
بوعي الشاعر المثقف الباحث بشهوة عن الخلاص ، فهو  
في هذا الحوار الشعري الذي ساختاره من شعره  
يستنكر حتى على زوجته ان تذكره لاكثر من عام بعد  
موته ، ذلك لانها من اهل القرن العشرين :

« الزوجة : راسي يتوق قلبي يتوق  
ساموت اذا شفقوك  
ساموت اذا كنت سافدك الى الابد  
الشاعر : لا يا زوجي ،  
ستعيشين ، وتبدد ذكراي  
كدخان اسود ، تذروه الريح  
فاناس القرن العشرين ..  
لا يسفلهم موتاهم اكثر من عام »

وهو صادق في كل ما كتب حتى اعترافه بهذا  
الصدق على انه ضعف ، المكس من ذلك ، هو يعترف  
بضعفه لان ضعفه هذا دليل بشريته وانسانيته كتب  
مرة في السجن :

« لا يسمح لي ان اتحدث الا مع نفسي  
ذلك ما افعله ، الا اني اغني حين اسام الثرثرة  
يتغلغل صوتي باعماقي  
حتى يتمزق قلبي  
ويود فؤادي ان يبكي كيتيم الاسطورة حافي القدمين  
يشي على طرقات الجليل  
ويبكي .. لا حتى يقف له خيال على جواده  
بل يبكي منتفضا وسط الريح  
وانا لا اخجل من امر فؤادي  
ان رأيتك ضعيفا وانابا  
اغني : انساني بيساطة  
فلعل بكائي ازمة تحرمني من ان اسمع  
صوتا انسانيا الا صوتي » .

كما تفعل العناكب بالذباب .. ورفضها كلها وإبى إلا ان يكون هو نفسه .. صوت من الاصوات الإبداعية التي تلعب في عتمة العالم ، انه منذ طفولته كان يتبنى لو يعمل ساعي بريد في تركيا حتى يتحسس العذابات الدائمة في الرسائل الحزينة :

**« كانت امنيتي في صباي  
ان اصبح ساعي بريد  
مع انها مهنه شاقة في تركيا  
ففي هذا البلد الرائع  
يحمل الساعي برقيات مثقلة بالأحزان  
ورسائل كتبت اسطرها بالدموع »**

وفعلا تحقق حلم الشاعر الصبي حين تجاوز  
الخمسين :

**« انا في عامي الخمسين  
حملت في حقيتي الربيع  
ورسائل ملأى ببريق أمواج الدانوب  
وبموسيقى البابليل »**

الأمينة تحققت لساعي البريد .. لكنه لا يحمل البرقيات والرسائل الحزينة لأشخاص معينين .. فهذه ليست رسالة الشاعر العظيم .. انه ساعي البريد القادم من القاريخ ، من ضمير الإنسانية ليسلم برقية البشارة إلى جيل ابنه ( محمد ) وكل الصغار الذين في هذا العالم .. والذين سيكبرون ذات يوم ويفرزون سعاة بريدهم ، ولكن على طريقتهم نفسها طريق النبوة والاستشهاد من خلال الفن والكتابة ، ومن المفارقات الحزينة ان ناظم حكمت مات في صباح مبكر في بداية عام ١٩٦٤ وهو يفتح صندوق بريده الخاص ويحمل على صدره الطبيب رسائل الاصدقاء ، ومات دون ان يكمل قراءتها .

كان نبأً فاجعا لاصدقاء الحرية في العالم ، حين مات ناظم ، فكتبوا ونظّموا المراثي .. وخير ما قيل في هذا المسدد .. كلية سارتر : « ان اشعار ناظم حكمت ستعمل على حيايته من النسيان ، وستعمل على حملية شعبه من بعده من الاضطهاد والذل . وناظم كغيره من العظام انتزع نفسه من القبر بكل كلمة كان يكتبها » .

**خيري منصور**



ولم يتخل شعراء العالم وكتابه المتقدمون عن ناظم حكمت ، وكانت قصائده المهاجرة من السجون الى العالم الحر تتوافد بشكل دائم .. حتى وصلت الى فرنسا عام ١٩٣٤ فأنفس له شاعر الحب والتفصال « اراغون » مكانا خاصا في مجلة الاداب الفرنسية ، وتشكلت بعد ذلك لجنة تحت اسم « لجنة تحرير ناظم حكمت » سنة ١٩٤٩ ، وتوالت احتجاجات الاعلام الحرة من كل مكان اخضر في العالم وله تعامل حقيقي مع الكلمة حتى اعلن عن الامراج عنه في ١٤ يونيو سنة ١٩٥٠ ، ولكنه خرج من السجن الصغير الى السجن الكبير ، فلم يترك لحال سبيله بل تكالبت عليه من جديد ايسادي الرقباء ، ففر الى اوروبا الشرقية منتقلا من منفى الى اخر ، ويكاد يجعم كل من عرفوه على انه الرجل الطيب المحب للناس جميعا . ويروى انه ذات يوم اسلّمه باحد الادباء الصغار في موسكو حول نقاش معين ، فشرع الاديب الصغير ووجه كلمات فجة الى الشاعر ، فاحمر وجهه وما كان من كبار الادباء والفنانين السوفييت الا ان حضروا وقدموا وجوههم للشاعر قائلين : اصغنا جميعا ياناظم .. نحن نستحق لان احدا جهل مكانتك .. مما دفع بالكتاب السوفييتي (سيونوف) الى وصفه مرة : « بانه يحب اطفال العالم وكل ما تضعه الايدي البشرية ، ويحترم حتى خصومه » .

ويقول الشاعر عبد الوهاب البياتي انه ذات يوم في حفل ادبي حمل ورقة بيضاء ودار بها على المؤثرين طالبا من كل واحد منهم بوداعة ان يكتب : « ياذا سلفعل » لو وجد نجاسة بليون دينار وهذا يوضح ما قصده الكاتب (سيونوف) حين قال : « ان ناظم يكره الثراء بقدر ما يحب الاطفال » .

وهو كشاعر لم يكن يملك شيئا يمنحه سوى اغنياته وناله من اجل اسعاد الآخرين ، اسعفه يغني لشعبه :

**« انا لا املك ما اعطيه لشعبي المسكين سوى  
نفاخة هي قلبي ..  
فاذا انظر عبر القضبان الى الليل ،  
ورغم الجدران القائمة على صدري  
قلبي يخفق مع ابعاد نجمة »**

ان دعوة الشاعر الى الالتزام تصبح لاغية حين لا يدرك هو ذاتيا عبثه التاريخي ومسدى جهه في الاستشراف والنبوءة ، وناظم مثال رائع لذلك .. فهو منحدر من اصل عريق في الثراء والوجاهة وكانت امامه المناصب والمغريات التي تصطاد صفار الشعراء عادة



# أبوراشد

## في ذمّه الله

وذاكرته قوية ، وظل يردد أبيات أبي الطيب المتنبي وحكمه في الحياة ، في كل مناسبة من المناسبات .

وكان المرحوم من المعجبين بأمر كلثوم وبأغانيها الشجية ، ولا يسئل سماعها وهي تصدح بأغانيها الجميلة العذبة ، ودفعه إعجابها إلى زيارتها في القاهرة ، واجتمع بها وأبدى عنائه لها على عدم اهتمامها بالفنساء بأبيات المتنبي ، ورجاها أن تهتم بهذا الشاعر العظيم ، وتختار بعض أبياته من ديوانه الحافل باختلاف ألوان الشعر لغفتها بصوتها الساحر الشجي ، وهي أمنية أيضا طالما تمنّاها ان يسمع أم كلثوم تغرد ببعض اشعار المتنبي التي تثير فيه الإعجاب الشديد .

ان أبا راشد شخصية عجيبة فقد عاش معظم حياته في البحر ، ومع ذلك فقد اطلع بالادب العربي ولغسا شديدا وذلك عن طريق ولعه بالمتنبي وباشعاره ، هذا الشاعر العظيم الذي ملا الدنيا وشغل الناس ، ولذلك فقد اطلع على الكثير من انتاج الادباء لا سيما شعرهم ، الا ان المرحوم ليس له اثر ادبية ، ولم نسع له شعرا .

رحمه الله رحمة واسعة ، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، واسكنه فسيح جناته ، وتقدّم بواسع رحمته ورغواته ، والهم اهله الصبر والسلوان .

« البيان »

في نقد شعر شعراء العامية المحققين الذين انحرفوا بالشعر عن اصوله ومميزاته حتى وصل بعضهم الى حد الانقذال ، ويقال انه نظم بعض القصائد في هذا الشعر العالمي الا اننا مع الاسف لم نحفظ له شيئا منه .

لقد كانت امينته في حياته ان تتحقق له قراءة كتابين كثيرا ما كان يردد ذكرهما ويتمنى الحصول عليهما ، الكتاب الاول هو ( شرح الدلفي لديوان أبي الطيب المتنبي ) والثاني ( مجمع احمد ) وهو شرح ديوان المتنبي لحكيم المرة أبي الغلاء المرعي وكان كثير الحديث .

من هذين الكتابين اللذين ما زال مخطوطين في بعض مكتبات الغرب ، ويقول رحمه الله ان شرح الدلفي يقع في عشرة مجلدات ويتحسر ان يكون كتاب بهذا المستوى الرفيع ما زال راقدا مخطوطا في غريبه ، ولم يعثر احد بنشره حتى الان ويذكر انه رجاء وزير الاعلام في الكويت بان تهتم الوزارة بنشره وطبعه لغفته العلمية والادبية والفنية ، ولان نشر مثل هذه المخطوطات النفيسة من اختصاصها وحدها .

عاش المرحوم حيد المناعي ما يقارب التسعة والثمانين عاما ، وفي السنوات الاخيرة اصيب بحداسة سيارة اضرته به كثيرا ، واضطرت ان يستعمل العصا في تنقلاته حتى تثلث عليه آلامه فاتعمدت في البيت ، لكن ذهنه ظل صائبا ، وتفكيره سليما

في يوم الاربعاء ٢٤ جهاد اول سنة ١٣٩٢ هجرية الموافق الخامس من شهر يولييه سنة ١٩٧٢ انتقل الى رحمة الله تعالى الحاج حيد مبارك المناعي .

وحيد مبارك المناعي اقترن اسمه باسم أبي الطيب المتنبي ، ذلك انه راويته وحافظ شعره ومن اكبر المعجبين به ، وكان يتتبع كل كتاب يصدر عن المتنبي وشعره فيقرأه بشغف ورغبة ، بل كان يتتبع كل ما يقال عن المتنبي سواء كان شعرا او نثرا حتى اصبح ملها بصياة المتنبي وباسرارها ، واصبح مصدرا لكل ما يتعلق بهذا الشاعر العربي الفحل ، وكان كلما زاد المله به ازداد حبه له واعجابه به ، لهذا دعي براوية المتنبي .

انك اذا جلست معه لا يرى ملها للحديث ، ومتمعة في الكلام الا الحديث عن المتنبي والكلام عن روعة شعره ، وبلاغة بيانه وقوة حكمه وسحرها ، وكذلك عن شجاعته وابساء نفسه وانفته وبطولته في مختلف الاحداث التي مرت في حياته وعاشها .

وابو راشد لم يقتصر على حفظ اشعار المتنبي ، وانما حفظ الكثير من اشعار الشعراء القدامى لا سيما الفحول منهم في مختلف عصورهم ، كما حفظ الكثير من اشعار النبط او الشعر العامي ، وبالذات اشعار الشعراء المشهورين منهم ، وله نظرات صائبة

أراك سوى التبعج لا تجيد  
وتكرار التبعج لا يفيد  
ملأت مشارف الدنيا صراخا  
وخصمك عن بلادك لا يحيد  
نشرت على الدنيا شرقا وغربا  
غسيلك حيث فاتك ما تريد  
وقلت سنسترد الأرض يوما  
ونطرد من يناوىء أو نبعد  
وقلت وقلت والايام طالت  
ولم يطرأ على الدنيا جديد  
فلو اخفيت ما تنوي عليه  
لخاف من الاذى الخصم اللدود  
وقد قالوا قديما ان من لا  
يسر الامر فاجاه البعيد

• • •

أخوتنا ارجعوا للرشد يوما  
فليس لها هنا الا الرشيد  
كفى استخفافكم بقوى الاعداء  
كفى التهديد منكم والوعيد  
كلانا ما ادعتم من هراء  
وسفسطة يرددوها « السعيد »  
بأنكم على ابواب « حيفا »  
وما هي قد تحطمت السدود  
وبينكم وحائط « تل ابيب »  
مسافة خطوة تلج الجنود  
وأن الحرب دائرة عليهم  
وفي الساحات تهترى الجلود  
بها من كل مقدم جسور  
كمي لا تخين له عهد



# العرب في وضعهم المرير

شعر  
عبدالله  
سنان  
محمد



فكان نتاج هذا أن هُزِمنا

وأصبحنا نفرُ ولا نعود

حزيران على ما كان منا

ومنهم يومَ خامسه شهيد

لقد بلغ الزبي سيل الاعادي

وانتم في سبابتكم هجود

تلاطم فوقكم موجُ الرزايا

وتعبث في دياركم القروود

وفي غيبوبة اللهو انغمستم

لكم في كل حادثة ركود

كأن لم تجر بينكم أمورُ

يشيب لهول محتتها الوليد

وقلتم انّ حولكم دجاج

نسيتم أن مخلصنا حديد

نسيتم أنها انتصرت عليكم

وراحت بعد أن ظفرت تشديد

لقد ضمت فلسطينا اليها

فما بقيت هناك لكم حدود

فأين ذوو المنابر والكراسي

الوثيرة والذين هم الاسود

أسود بين أروقة المباني

وفي الهيجاء ليس لهم وجود

ترى أيديهم تعلو عليهم

إذا وقفوا وقد حيي النشيد

وان خطبوا حسبتهم ليوثا

بواسيل بأسهم بأس شديد

وأين الساسة الانفاذ أين

المفكر والمدير والعميد

وأين القادة الاحرار والذا

ئودون عن الحمى أين الحشود

وهذا المسجد الأقصى ينادي

بأعلى صوته أين الفهود

لقد شرب اليهود الخمر فيه

بلا خجل وأحرقه اليهود

وبات الذل ملقاً عليه

وقل به التهجّد والسجود

وأصبح لا يقر له قرار

ويندب مجده البيت العتيّد

وفوق قنالنا وعلى هضاب الشأم مرابطون بها تعود

فلا أمر لديهم بانطلاق

لنصر فيه ترتفع البنود

فينشط كل جندي كسول

لواجبه وينسلخ الجمود

وساستهم تثبطهم أمور

قد انشغلوا بها ولها اريدوا

فمن سفر الى سفر وباتت

حقائبهم بما فيها تميد

نتائجهم سقوط في سقوط

ومؤتمراتهم ابدا تريد

وما فعلوا بحق الشعب شيئا

ولم يزل الشريد هو الشريد

هم الاحرار اسما دون شك

ولكن في الحقيقة هم عبيد



# علم اللغة عند العرب

الاصيل له غرام بجودة اللفظة وفخامتها وقوتها وبراعتها للاصول والقواعد . ولم يكن عند العرب شيء اعيب من اللحن ولا اشين من العجمة والخروج عن الفصاحة . وكان الخطيب الذي يلحن معرضا للسخرية والهزء . ولم يكونوا يقبلون اللحن من خطيب او شاعر او امير . كانوا يعتبرون اللحن بمنزلة الجرم الاخلاقي معرة وقبحا . وكثيرا ما كان ملوك بني امية يعجبون من فصاحة اعرابي فيدنونه من منازلهم ويخلعون عليه ويصلونه بالجوائز السنوية . وكان حبهيم للغة يحلمهم على التفاسي عن المطاعن التي توجه اليهم ولذلك قربوا الاخلل التغلبي وهو بليط اللسان في باطل يراه حقا ومثلبة يعتدها مفخرة وان كان العامل السياسي غير بعيد عن هذا الادناء والتقريب . ووصل بالعرب الاغراق في حبهيم للغة ان اعتبروها افصح اللغات واكثرها ابانة واجلاها بياناً واروعها اسلوباً وامتها عبارة . واعتبروا العجمة عيباً والوطانة عاراً . وكان يعجبهم في الخطيب جهارة صوته وجراءة نبرته وصراحة لفظه وفخامة جرسه . وفي الاديب بيبانه وقوة لفته وحفاظته على الاصول وبعده عن الغرابية والتكلف وان يكون لمعانيه علوق بالحافظة ولصوق بالذهن . واذا اوجزنا فلنا ان العرب كانت تعتبر اللغة غاية لا وسيلة ، الجمال من اجل الجمال والفصاحة من اجل الفصاحة والمعنى مشترك بين العربي والعجمي لا فخر في الوقوع عليه بل في تليغته الى القلب في احسن صورة من اللفظ . وكان يرتفع العقل العربي الى مسدري الحضارات الكبيرة ويمشي تطور التاريخ . ظهر اثر هذا التقدم في الحركة اللغوية ابين ما يكون في العصر العباسي اذ تطوع العلماء لكتابة العلوم الجديدة باللغة العربية العالية لم يتسبحوا بجانب الاصول ولم يترخصوا في تخلي الحدود بل شهبوا عن ساعد الجد واستغلوا مرونة اللغة في سبيل رفعتها ومنعتها . وبفضل علمائها الكبار اتسعت للمعلوم الجديدة المنقولة

نظر العرب منذ القديم الى لغتهم نظرة التقدير والاعتبار فاعتنوا بها اعظم الاعناء ووضعوها من قلوبهم الموضع الاسمي ، وفرضوا على صبيبتهم تعلمها واجادتها ، وحققوا في روايتها ما شاء لهم التحقيق والتحجيص . وكان علماء اللغة يحظون من قومهم بالمرتبة العالية والمكانة السامية . فكان الملوك والامراء يستدقونهم من بلد الى بلد ليحسوا في خلاف او يقطعوا في مسألة . وليس خلاف سيويوه والكسائي في حضرة يحيى البرمكي ثم تحكيم الاعرابي بينهما يخاف على من لهم اطلاع على تاريخ اللغة وتنقص لامورها واحوالها . وهذه القصة دليل على عدة امور اولها الاهتمام بالحقيق بامور اللغة واهتمام الملوك والامراء انفسهم بها وتشجيعهم على حفظها وروايتها ، ثم الثقة بالاعراب والرجوع اليهم في الخلاصات والمسائل اللغوية واعتبارهم مصدر اللغة وموثلها والحكم الاخر في اصولها ومقاييسها لانهم يعتمدون على سليقة لم يعكرها الاختلاط بالعجم والدخلاء . وكان الاهتمام باللغة يرتفع وينخفض في عصور الادب تبعاً لتقدم الحضارة وانحسارها ، الا انه كان موجوداً على ممر العصور . ولا ادل على ذلك من هذه الكتب الكثيرة في اللغة ، وهذه التصانيف الواسعة في الغرائب والشواذ والنوادر . ومن ينقص التصانيف التي الفت في اللغة طيلة عصور الادب يجدها كية ضخمة لا يستطيع تعدادها . منها ما بقي موجوداً ومنها ما اندثر وزال . والباقي منها على كل حال مقدار لا يستهان به . وهذه الكثرة في التصانيف على ممر العصور ، والحديث عن رجابة اللغة واتساع مداها وعيق غورها اوحى الى الجم الغير بالعجز عن الاحاطة باطرافها واستقصاء شواردها ونوادرها . وهو ما لا شك في صحته وثبوته . والذي ينعم النظر في كتب البلاغة يجدها تطيل الحديث عن فصاحة الكلمة وروعها وجلالها وصحة الجملة واشراق ديباجتها . والعربي



الزمن وتقلبات الدهر .

على ان اللغة العربية لم تبقى في هذه الحالة من التقدم والرفي بل اخذت تنهقر تدريجيا وتفقد سيطرتها ونفوذها . فعمد تفكك الدولة العباسية وانتسابها الى دويلات وتقلص ظل السيادة والسلطان عن عاصمة الخلافة غرقت البلاد العربية في ليل مطبق من الجهل والفقر والتأخر وحكمها الاتراك مدة تنيف على اربعة قرون، قاست خلالها اشد انواع الظلم والذل والاضطهاد وفقدت فيها كل مظاهر العظمة والسمو والجلال . وتضاعفت في هذه الفترة الطويلة على الامة العربية كل عوامل التأخر والانحسار . ونتيجة لهذا التأخر السياسي والاجتماعي انحدرت اللغة العربية الى مستوى غالية في الاحتطاط وانطلمست معالم المعرفة واغلقت دور العلم واطبق الجهل على الامة العربية من مهب الرياح الاربعة . فامست كما قال فيها معروف الرصافي رحمه الله :

بمعلم  
مير علي



فانصبح الجهل يشي بين اظهريهم

مشي الامير وهم من حوله خدم

وادب هذه الفترة من اسقم ما عرف الادب العربي في تاريخه الطويل . حسينا ان نعلم من ذلك ان خطبة الجمعة كانت نسخة محفوظة في كل مسجد تعاد وتكرر على توالي الجمع والاعياد ، اذ لم يكن في اماكن خطباء المساجد ان ينشؤوا خطبة واحدة جديدة . ولا داعي للانفاضة فيما كان عليه هذا العصر من تأخر وجذب ، فالذي يعيننا هو ان نعلم انه بعد حوالي اربعة قرون من الجهل والتأخر دببت الحياة في اوصال الشرق العربي وانبعثت انوار العلم في نواحيه من جراء اتصاله بالغرب

عن التراث اليوناني . وكان هذا العمل غفرا ما بعده فخر ومائرة ما بعدها مائرة ، وتجربة استفادت منها العربية اعظم الاستفادة فكانت بهذا كالفنن المورق والشجرة المزهرة ، واثبتت انها غير عاجزة عن التجدد والازدهار وان عليها قادرون على الحفاظ عليها في وجه الزعازع والتكسبات .

ان علم اللغة قد حظي عند العرب بما لم تحظ به العلوم الاخرى . ومؤلفاتهم فيها تضاهي مؤلفاتها في بساتي العلوم مجموعة ، وما هذا الا لما كانت في قلوبهم . وليس هذا فحسب فقد اعتنوا باللغة في علومهم الاخرى فحافظوا عليها وصاتوا محارمها واخرجوها على خير ما يكون الاخراج وعلى احسن ما يكون الانتان . وتعاون العلماء على دراسة لغات القبائل ولهاجاتهم المتعددة كان من عوامل تصفيتها مما يشوبها من الحوشي والتافر .

وبانصرام عهد بني امية احتلت الكتب التي جمعها العلماء مكان الاعراب في الرجوع اليها والاستشهاد بها واعتاد نصوصها وامثلتها . ولم يعد الاستشهاد بالاعراب مقبولا بعد ان تلوثت فصاحتهم وتعرض بنظمهم للحن واللكنة . وبالتدريج انتقطع ما بين الفصاحة والاعراب وقلت الثقة بهم فلم يعد اهل اللغة وعلمائها واساطينها الكبار يستشهدون بهم في الخلافات التي تدور بينهم . وعلماء اللغة كالشريعين تماما يرجعون الى الاصول ويمسرون الاحكام فيخطئون ويصوبون مستندين الى علمهم الواسع بلغتهم والى فهمهم العميق لروحها ومميزاتها واساليبها وطرائقها فيميزون بين الصحيح والفساد وينبذون كل ما لم يجر مع الذوق العربي ويشيرون الى كل لفظ مشوب بالعجمة او باللكنة وبتناثر الحروف الى ما هنالك من العيوب التي تصم الكلام وتحط من قدره . وبما ان اللغة مبنية على السباع في معظم الاحيان وبما ان القبائل العربية مختلفة المنشأ والبيئة فقد حصل خلاف في ما يبنها في ابناء الكلمات وفي تركيب الجمل . وهذا ما يفسر لنا اختلاف العلماء في تشكيل لفظة ما . واختلاف الربي والمنشأ اطلع علماء مختلفين في التفكير والنظرة الى الامور ما سبب نشوء المدارس اللغوية مثل مدرسة الكوفة والبصرة وبغداد . كل منها له تفكير خاص ومنهج خاص وصفات خاصة . وعلى ممر العصور وبفضل العلماء الازداد اكتسبت للغة العربية مزايا ليست في سواها من اللغات تجنبتها عوادي

مصر ولبنان . وانتشرت فوضى الترجمة والمصاحفة  
فصرخ هؤلاء اللغويون ونهبوا الى الخطر المحدق باللغة  
من جراء هذه الكتابة الركيكة . وكان حافظ ابراهيم من  
جملة المنهين والموجهين . قال من قصيدة على لسان  
اللغة العربية :

**ايهجرني قومي عفا الله عنهمو**  
**الى لغة لم تتصل برواة**  
**سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى**  
**لعاب الاقاعي في مسيل فرات**  
**فجاعت ككوب ضم سبعين رقعة**  
**مشكلة الالوان مختلفات**

ومنها :

**ارى كل يوم في الجرائد مزلقا**  
**من القبر يدينني بغير اناة**  
**واسمع للكتاب في مصر ضجة**  
**فاسعلم ان الصائحين نعماتي**  
**فيا ويحكم ابلى وتبلى محاسني**  
**ومنكم وان عز الدواء اساتي**  
**فلا تكلوني للزمان فاتي**  
**اخاف عليكم ان تحين وفاتي**

ومنها :

**الى مشعر الكتاب والجمع حافل**  
**رغعت دعائي بعد بسط شكاتي**  
**فاما حياة تبعت الميت في البلى**  
**وتنشر من تلك الرموس رفاتي**  
**واما ممات لا قيامة بعده**  
**مات لعمرى لم يقس بممات**  
**وسعت كتاب الله لفظا وغاية**  
**وما ضقت عن أي به وعظاات**  
**فكيف اضيق اليوم عن وصف آلة**  
**وتتسويق اسماء لخرعات ؟**

وقد ازداد اهتمام العلماء باللغة العربية فقرروا  
ان يفتوا لها مجمعا يقوم امورها ويخطط لمستقبلها ويقل  
من عثراتها . والف مجمع اللغة العربية في القاهرة (كان  
يطلق عليه قبال اسم مجمع فؤاد الاول) وكان لهذا المجمع  
فضل كبير في الحفاظ على كيانها والذب عن حياضها  
وتجنبها خطر العجمة واللكنة والركاكة . وكان المجمع  
يصدر كتابا دورية ينشر فيها كل ما كان يقوم به من  
دراسات وتوجيهات وبحوث وتعريب اسماء اجنبية  
واختراع اسماء حديثة . وبانتشار الجامعات والمعاهد  
ودور العلم انتعشت اللغة العربية وانتشرت انتشارا  
واسعا بعد ان كانت محصورة في عدد من العلماوخريجي

واحتكاكه به . كان لبنان هو المشعل الذي اضاء في سماء  
الوطن العربي فقد قامت فيه الجامعات واسست المعاهد  
وانشئت المدارس . وبفضل هذا التقدم العلمي بدأت  
اللغة العربية تنشط وتنتعش . وبرز في لبنان عدد من  
علماء اللغة الذين يفخر بهم التاريخ العربي ويعتز .  
ومن بين هؤلاء احمد فارس الشدياق وناصيف اليازجي  
وبطرس البستاني وابراهيم اليازجي وابراهيم المنذر  
وابراهيم الحوراني ممن نهضت اللغة العربية من كبوتها  
على ايديهم واستعادوا انفسها بفضل جهادهم . لقد  
كتب هؤلاء في اللغة وجمعوا فيها التصنيف وضاعوا  
علماها القدماي في غزارة الملم ودقة النظر . وكتاب  
احمد فارس الشدياق « الجاسوس على القاموس »  
خير شاهد على ما ذكرت فقد بين فيه الاخطاء التي وقع  
الفروزيادي صاحب القاموس المحيط ونبه عليها واظهر  
مقدرة خارقة وعلما جفا في هذا المجال . ومؤلفات ناصيف  
اليازجي وعبدالله البستاني والشرتونين سعيد ورشيد  
اكثر من ان تحصى في هذا الموضوع . وقد سمي هؤلاء  
اللغويون الى تنقية اللغة من الشوائب عن طريق  
التدريس والمصاحفة والتأليف والتحقيق . وكان كل مهم  
ان تستعيد العربية جدها وسلطانها بعد بضعة قرون  
من الجهل والتأخر انحسرت فيها انحسارا كبيرا وانطوى  
عليها الخفاق ولم يبق اثر لثبترقية او دليل على نبوغ.

وكان التفكير اللغوي على اشده في هذه الفترة .  
كانت تهيم صحة اللفظة ومراعاتها لاصول اللغة ولا  
يبعد عن ذهن المعركة الكبيرة التي اشجبل اواراهيم  
الشيخين احمد فارس الشدياق وابراهيم اليازجي .  
وكان الشيخ ابراهيم يدافع عن والده ناصيف وكان لايزال  
في مقتبل الشباب . وقد ثبت في وجه الشدياق وصد  
الهجمات الشديدة التي وجهها اليه واستطاع ان يخرج  
من المعركة بسعامة طيبة وصيت بطبق الاتاق . وكان  
ابراهيم اليازجي دقيقا في طرزه عميتا في تحليله وقد  
ازعجه حال المصاحفة وانحطاط المستوى اللغوي فيها  
فاخذ يدبج المقالات التي يبين فيها الاخطاء وينبه على  
الهموات ويحذر من الزائق مما افاد الجيل الطالع وجنهم  
مشقات جمة في الرجوع الى المعاجم للثبت من صحة  
الفاظهم واجادة كتابتهم . وكذلك فقد ابتعد الفاظا جديدة  
لمسميات اجنبية وهو ما يسمى بالتعريب . لقد كان يكره  
ان تدخل اللغة العربية لفظا اجنبية، وما يذكر منه انه  
ابرق الى رئيس تحرير مجلته من الاسكندرية يشير اليه  
فيها ان يلغي عددا منها لان فيه خطأ لغويا طبيعيا .  
وكان لتوجيهاته اثر فعال في الكتابة الصحفية فقد خلق  
جيلا يهتمون باللغة ويحافظون عليها ويذبون عن  
حياضها .

وتوفي اليازجي فخلل عنه المهمة ادباء كثيرون في

الاجامية ان تتعمق فيها ، وان تتوسع في دراستها وتحيط  
بجوانبها احاطة شاملة ؟

والتيسير على ما ارى يعني ان يوضع كتاب معين  
في قواعد اللغة يستغنى به عن كل المؤلفات ويتعرض  
لشئى الموضوعات النحوية بحيث يكون مرجعا في باب  
الاصحاح الشامل والتفسير القريب والتبثيل المبسط ، الا  
الاستويات ، حتى لا يتوزع ذهن الطالب في مختلف  
المؤلفات ويضل في بدهاء لا حدود لها .

وقد وضع العالمان علي الجارم ومصطفى امين  
سلسلة مبسطة في قواعد اللغة تدرس في المدارس  
الثانوية وتحتوي على اهم ابواب النحو والصرف . وكان  
لهذين العالمين اليد البيضاء على النشر في تأليف هذه  
السلسلة . فهي تمتاز بالسهولة والبسر والايجاز ، مع  
الايضاح الشامل والتفسير القريب والتبثيل المبسط ، الا  
ان الفائدة لم تكن شاملة منها لان استعمالها قد قل تدريجيا  
فاستبدلت بكتب ومؤلفات اخرى .

وكانت قد انتشرت قبل ذلك في بلاد الشام سلسلة  
اخرى في القواعد العربية في اربعة اجزاء للمعلم رشيد  
الشرتوني تسمى « مبادئ العربية » . وقد اشتهرت  
باسم مؤلفها فكان يقال الشرتوني الجزء الاول او الثاني  
او الثالث او الرابع . وما زالت بعض مدارس لبنان  
تدرس هذه السلسلة حتى الان . والجزء الرابع من  
هذه السلسلة يعرض قواعد العربية بشمول وايضاح  
بحيث انه ينفي عن غيره من كتب القواعد وهو يكتفي  
لدراسة النحو والصرف وما اظن ان طالب اللغة يحتاج  
الى غيره في هذا الباب الا اذا كان ينوي التوسع  
والتخصص . وكما قل استعمال النحو الواضح كذلك  
قل استعمال مبادئ العربية والانتفاع به .

وكذلك صدر لمؤلفي ( النحو الواضح ) كتاب في  
البلاغة بعنوان البلاغة الواضحة بعد مرجعا في الموضوع  
ويجمع عدة مزاي ومحسن وهو خير ما الف في البلاغة  
تأليفا مدرسيا حتى الان على ما اعلم . وقد اسدى  
هذا الكتاب ودليله خدمة جلى الى طلاب اللغة العربية  
فقد بسط الموضوع وقربه اليهم فاغناهم عن التصنيفات  
القديمة المعقبة .

ان فكرة التبسيط محببة الى النفوس وذات فائدة  
لوقت من يقوم بها وينفذها باخلاص ، الا ان التنافس  
التجاري في الطباعة والمصالح المتضاربة وعدم تحديد منهج  
واضح ثابت من قبل الحكومات يقلل الفائدة من الكتب  
المبسطة . فما زالت الجامعات حتى الان تختلف على  
تدريس الاصلح من الكتب . وكل جامعة لها رأي ومنهاج  
خاص . فمن الجامعات ما تهتم بالادب العربي اهتماما  
كبيرا فتؤثر على القواعد ومنها ما تحتضن القواعد

الازهر الذي كان له فضل لا يحصى في حفظ اللغة وصيانتها  
وظهر في مصر في هذه الفترة لغويون كبار مثل الراقمي  
والعقاد والزيات اعدوا للغة نضرتها ورونتها وبرعوا  
فيها الى ابعد حدود البراعة . وكان الراقمي من السابقين  
المبرزين في معرفتها الى حد ان الدكتور طه حسين ، على  
الرغم من العداوة المستحكة بينهما ، قال فيه ما يلي :  
« ان الذين يفهمون العربية كما يفهمها الراقمي يحصون  
على الاصابع » . وهذه شهادة لها قيمة تاريخية عظيمة .

لقد كان عصر الانتعاش فضلا على اللغة ومنة لا  
تجدد . ففيه استعادت شبابها وجددت نشاطها  
واستردت حضارتها وناطحت بكبريائها عنان السهاء .  
ولقد والت اللغة تنديها في عصرنا الحديث نبلفت في  
صعودها مستوى راقيا يضارع ذلك المستوى الذي  
تسبته في عصورها الزاهرة . لقد حاول العلماء التجديد  
في طرق التعليم واساليب التدريس فالفوا كتب في القواعد  
حسب المناسج الحديثة وحاولوا ان ينقوها من كل  
الشذوذ والشوائب التي لاتعود بفائدة على النساء الطالع  
وقد شن الدكتور طه حسين هجومها على اساليب  
التدريس القديمة في كتابه المشهور « الادب الجاهلي »  
وبين مثاليها ونقائصها ودعا الى نهج جديد واساليب  
حديثة وثقافية راقية . ولسنا في مجال الحكم على هذه  
الدعوة الجريئة ، ولكن من الواضح ان الاتصال بالغرب  
كان العامل في ظهور مثل هذه الدعوات التنقيحية . ان  
الذين خرجوا في معاهد اوروبا قد اثروا بلا شك في  
سير الثقافة في البلاد العربية . الا ان الدعوة الى التجديد  
قد خرجت في بعض الاحيان الى الترخص والابتذال فقد  
ارتفعت اصوات مشبوهة بالدعوة الى تغيير الحروف  
العربية واستبدالها بحروف اجنبية كما جرى في تركيا .  
وقد اشتدت هذه الدعوة في لبنان ساحة الاحتكاك بين  
الشرق والغرب ومعترك الدعوات والثقافات والتيارات  
المختلفة وكان من دعائها الشاعر سعيد عقل الذي اصدر  
ديوان شعر بالحروف اللاتينية سباه « يارا » وخصص  
جائزة سنوية لمن يؤلف كتابا بالحروف اللاتينية . وهي  
دعوة على ما نرى مشبوهة ظاهرة الفساد ولهذا نلن  
يكتب الى التوفيق او يتوقع لها النجاح لانها تخالف حقائق  
الامور وتعارض قوانين الطبيعة . وقد اعترض علماء  
اللغة واساطينها على هذه الدعوة المشبوهة وبيّنوا  
مضارها ونتائجها السيئة على الامة العربية وعلى اللغة  
العربية ذاتها . واقل ما يقال فيها انها دعوة مخربة  
تبعد العرب عن تراثهم وتفصل بينهم وبين تاريخهم .

اما فكرة تسهيل القواعد وتيسيرها فقد لاقت قبولا  
ولكنها فكرة مطالمة رجراجة . فالى اي مدى تيسر  
القواعد ولاي مستوى دراسي ؟ واذا يسرت للمصنف  
الابتدائية والثانوية اليس من الواجب على الصنف

على اللغة في اجابته . اين هذا من جامعاتنا العربية التي لا تهتم باللغة بل بالموضوع ؟

ان الاهتمام باللغة يجب ان يتسع لكل مجالات الكتابة لا للادب واللغة فقط . وعلى الكاتب ان يتأنق ويوجد ما امكنه ذلك حتى يكون لكتابته قيمة واعتبار .  
فاجادة اللغة نستطيع تجويد المعنى وتاديبه المقصود والارتقاء بكتابتنا الى المستوى الراقي . اما كثرة الاخطاء والهفوات ومجانبة الاصول والركاكة فهي تقتل المعنى وتجعله سقيما لا روعة له ولا اشراق فيه . ان الانشغال في امور الحياة لا يسوغ التهاون في قضايا اللغة والتفاضي عنها . وايغالنا في الحضارة وتقدمنا في العلم يغرضان علينا ان نمسك لغتنا ونحميها من عوادي الزمن وان نعمل لرقيتها وازدهارها .

جميل علوش

وتفضلها على الادب ولكل منها الاسباب والبراهين التي تستند اليها . فمنها ما يقتدي بالجامعات الاجنبية ومنها ما يقتدي بالازهر .

والاهتمام باللغة في عصرنا قليل نادر . فقد كانت اللغة من قبل تدخل في اي موضوع . اما اليوم فلا يهتم باللغة الا الاديب . ومن نعم النظر في المؤلفات والكتب المدرسية على مختلف انواعها ودرجاتها ، يلهم صحة ذلك . ان كتابا في تاريخ العرب مثلا يكون غاصا بالاطضاء والمزالق وكان مؤلفه ليس له علاقة بالعربية ، دع كتب العلوم والمواضيع الاخرى . وهذا بعكس ما عليه الجامعات الاوروبية وخصوصا البريطانية فانهم يشترطون على الطالب ان يجيد اللغة الانكليزية حتى يتمكن من النجاح . ويضعون له ملاحظة في رأس ورقة الاسئلة يطلبون فيها مراعاة قواعد اللغة واجادة التعبير ما امكن . ويفهمونه انه معرض للمقوط اذا لم يحافظ



# مسكوكات السينما الحديثة

الاتجاهات والأبطال في الفيلم الروسي

بقلم: تاتيانا خلوبليانكي

الناقدة السينمائية في مجلة « دروزدا نارودوف »



لقطة من فيلم « جبيلة » — انجا ميكسيني تقوم بدور (انجا) .

## جبيلة

بنت نحيفة في السادسة ، ذات ذراعين رغيعتين وربكيتين بارزتين ، كانت ترقص في فناء صغير بأحد منازل مدينة « فيلنيوس » ، ومع انها كانت خالية من سمات الجمال فقد كان كل ولد ممن اجتمعوا حولها يعتقد انها جبيلة « تشبه الحورية » . ثم جاء قادم جديد ، ولد عنيد في نحو الثامنة عشرة . فنظر الى الصغيرة « انجا » بعين فاحصة ، وهز كتفيه استخفافا ، ثم اصدر حكيم : فهي ليست جبيلة ! وجرت انجا الى المنزل ، ثم اخذت تنظر الى نفسها في المرآة . فرأت عينيْن كبيرتين غائرتين في وجه ضئيل غطاه اللثام ، كما رأت عنقا رغيما وكفتين ناتئتي العظام . وحينئذ ادركت ان الفلام لم يكن كاذبا . فهي حقا ليست جبيلة ! ولكن ماذا تستطيع ان تفعل ازاء هذه الحقيقة البسيطة ، وقد تجلت لها هكذا فجأة ؟

ان الفكرة التي ضمناها المخرج الليتواني ا. تسيريوناس فيلمه هذا « جبيلة » يمكن ان تختصر في هذه

غير ان مخرج الفيلم ذهب ابعد من ذلك .

فتاة صغيرة ليست جبيلة لها عينان كبيرتان غائرتان ترقص في فناء صغير ، فتتجه اليها « الكاميرا » مباشرة وتتركز عليها . فهل نستطيع حينئذ الا ان نحس بان هذه المخلوقة

المسالمة ، وهي ما ينتاب الطفل من احساس حينما يواجه لأول مرة حقائق قاسية في الحياة .

في هذه الحالة كان يمكن ان نرى فيلما قام على فكرة قد تكون حقيقية ولكنه اوجزها في نهاية حزينة توحى بان « يلعب الشخص حيث يستطيع » .

بجاهد بكل قواه لرفع صوته بين الآخرين .. حينما نرى منه ذلك كله لا يسعنا الا ان نشرع بالعطف عليه والاعجاب به ، اذ انه بهذا كله يحاول ان يثبت انه شخصية .

## الآخى الكبرى

فيلم آخر بهذا العنوان . ففى مدينة لينينجراد كانت ناديا ريزايفسكا تعيش حياة عادية كغيرها من الناس . كانت قد انتهت دراستها ثم اشتغلت ، متبعة في ذلك نصيحة ثلثتها من عم لها . ثم حدث ان اضطرب خط سيرها بحادثة لم تكن في الحسبان . فقد رأت ان تلحق بمعهد للتجميل . وكان ما حصلها على التفكير في ذلك انها شعرت بانها تميز بخواص فنية . ولكن ماذا يكون حالها وهى الرقيقة الحساسة اذا ما دخلت مثل هذا المعهد بعد ان وصلت الى السادسة والعشرين ؟ انها حينما تخرج تكون بلغت الثلاثين ! فهى لن تكون حينئذ في سن البرعشة التي تتفتح على المسرح وتسلط اشواؤها في الوقت المناسب . ثم من اي باب تعيش ؟ ومن الذي يتولى الاتفاق على شقيقتها الصغرى حتى تكمل تعليمها ؟ وفي غمرة هذه الارتباك التي نبعث من افطنها بدأت تفكر في العودة عن الالتحاق بذلك المعهد . ولم يكن في ذلك تخل عن مهنة تناسب شخصيتها للضمون الذي انطوت عليه طبيعتها . فالواهب ، كما هو معروف ، لا تتجلى في كل الناس . فهل تقدم على مثل هذه التضحية الكبيرة ؟

لقد اوحى اليها تفكيرها ان تعمل وقد شجعها على ذلك انها كانت تعتقد ان من الواجب الا تتخلل عن مساعدة شقيقتها ، حتى لو اقتضى ذلك ان تضحي بشيء من رغباتها . فمأخذت

وكان المتوقع ان نرى كيميل يتلقى تربية جديدة في المزرعة ، كما يحدث في كثير من الافلام التي تصور قصص الاخفاق والنهوض . غير ان مخرج فيلم « حرارة » لم يهتم بذلك قدر اهتمامه باظهار شخصية كيميل كما هي ..

ويبدو الصبي في البدء قلق النفس مزعزع الحواس ، فهو لا يزال بعيدا عن النضوج ، وهو لم يكتسب شيئا من الخبرة ، غير انه لا يلبث حتى يثر الاهتمام ، فكأنما احضر معه نفسا ( بفتح الفاء ) من الدنيا الواسعة الى الخيمة الصغيرة التي حل فيها بين فريق من سائقي الجرارات .

لقد بدا يشعر ببقية الحياة في ذلك الجو الذي تلهيه حرارة العمل والجد . فقامت في نفسه رغبة قوية في الاتيان عليها والاهتمام ببناء ، وسرعان ما تجسلى كذاؤه وانطلق لسانه . وهكذا اصبح قادرا لا على تشرب التجارب من الاشخاص الذين حولوه وحسب بل ايضا على اعطائهم شيئا من ذاته . وحينما ترك اختيار للجاعة لتعاضل بينه وبين سائق آخر فممازجته يدعى باكير لم تتولد في اختيار كيميل الصغير ، العديم الخبرة . وقد فعل افرادها ذلك وهم يعلمون انهم سيواجهون صعوبات في الاعتماد عليه .

كان اباكير رجلا متبرنا يستطيع ان يؤدي واجبه على خير وجه ، وذلك بالرغم من انه كان ضيق العقل . وكان قادرا على تنفيذ خطة العمل بدقة . غير ان الجماعة على ما يبدو كانت قد وصلت الى مرحلة لم ترد فيها ان تكفي بالوصول الى هدفها فقد ، بل رأت ان تضع في اعتبارها عوازل اخرى بدت لها جوهرية . فوقع اختيارها على كيميل وهي تعلم انه اقل كفاية من ذلك السائق التقدير .

وحيثما نرى — نحن المشاهدين — كيف يحاول ذلك الناشئ جاهدا ان يفهم حقيقة نفسه ، وكيف يعمل بكافة الطرق على اثبات وجوده ، وكيف

الضعيفة ، بل العجيبة ، تنطوي على عالم بأكمله .. عالم اصيل فريد غير قابل للتقليد ؟

بلى ، فحينما نشاهد المثلثة الصغرى « انجا ميسكينى » تتحرك على الثلاثة السؤل عما اذا كانت جميلة او غير جميلة لا يقوم في اذهاننا ، بل اننا لا نستطيع ان نحول عنها ابصارنا . فهى هنا اكثر من ان تكون جميلة .. انها شيء فوق العادي ، فهى شخصية قبل كل شيء . كل هذا قد تضنه الفيلم في اسلوب صريح لا مجاملة فيه ولا رقة . ومع ان فكرة « الجبال » ابعد من ان تكون موضوعا بين الافلام الحديثة فقد راينا ان نبدا بحثنا عن « البطل » في السينما الحديثة انجا نؤكد ان فيلم « جميلة » يكشف عن واحد من الانجاهات التي تسير فيها الافلام السوفييتية اليوم . فهناك اهتمام كبير بتصوير الشخصية الانسانية كما هي بوضوح ، ودراسة كل الملامح التي تميزها من غيرها .

وليس من السهل ان نحدد متى وفي اي فيلم بدا هذا الاتجاه . ومع ذلك فلا بأس من ان نحاول اقتفاء اثر ذلك التيار .

## حرارة

في عام ١٩٦٣ اخرج « استديو كيرغيز » فيلما عن صبي صغير يدعى كيميل لم يستطع الالتحاق بالكلية بعد ان ترك المدرسة فأرسل الى إحدى المزارع الاشتراكية البعيدة ليمارس العمل الشاق .

ولم يكن كيميل على شيء من تجارب الحياة ، ولم يتعود قط على الاعمال الشاقة ، بل كان من اولئك الصغار الذين يجدون تدليلا من مهماتهم فاذا ما فشل الواحد منهم في الدراسة لم يدر ماذا يفعل ، ثم حاول ان يسلك اي طريق .

النساء والاولاد والبسات . وهذه النماذج لا تزال حية بصورها الزمنية والإشارات الاتلية التي ظهرت فيها . لقد سجل اولئك الإبطال تقوفا في العمل وفي النشاط الرياضي ، وبنوا المدن الجديدة وأنشأوا المزارع الاشتراكية ووقعوا في الحب . فمن الخطأ إذن ان يقال ان الاهتمام بالشخصية البارزة قد بدأ فقط في السينا المعاصرة . كلا ، أبدا . وإنما الحقيقة ان فكرة « البطل » تتغير دائما ، كما تتغير صورة « الشخصية » بتغير الزمن .

لقد برهنت افلام الثلاثينات على أهمية نشاط الجماعة بالنسبة للفرد ، فقد دلت على ان الغرض العام ، والفكرة المشتركة ، والاحساس التابع من التضامن .. كل هذا يغني الفرد ويقيه ويشير هته .

ومهما بدت افلام الثلاثينات بخالفة فانها كانت جميعا تمكس صورة من الكفاح الذي كان قائما بين الإرادة الاشتراكية وكل عقبة قامت في طريق النجاح . سواء جاءت في موقف شخص من نظام الزراعة الاشتراكية ، كما وضح في فيلم « عضو في الحكومة » ، او في مسلح للصمص وطعام الطرق ، كما وضح في فيلم « طريق الى الحياة » ، او ببساطة في تصرفات البيروقراطيين كما وضح في فيلم « فولجا .. فولجا » . فقد اكتسبهم المجتمع جميعا . وكان واضحا ان الإرادة الاشتراكية قد تجسدت في أبطال الشاشة .

ماذا نظرنا الى بعض الافلام التي اخرجت في العشر سنوات الماضية ، ففيلم « الرئيس » او فيلم « معاصركم » فاننا نلح ان أبطالها يواجهون مشكلات جديدة .. مشكلات لا يمكن حلها الا بواسطة الجماعة ، ولا يمكن ان تحلها الجماعة الا اذا اضطلع كل عضو منها بمسؤولياته كاملة .

## معاصركم

ولكن من هو « معاصرنا



من مشاهد فيلم «الخت الكبيرة» — ناناليا نيكوف تقوم بدور (ليدا) وتاتيانا دورونينا تقوم بدور (ناديا) .

هذه الكلمات جاءت في فيلم «الخت الكبيرة» ، وهي تصلح نكتة شعرية ، لا لهذا الفيلم . وحسب بل لكثير من الافلام الجديدة . لم يكن بيننا قط شخص كهذا (الفتاة التي لا تفعل لنفسها) من اكون ؟ ومن ذا الذي يشبهني او اشبهه ؟ وناديا ريزايفنا تهتف في فرح : لقد اكتشفت في نفسي شيئا .. شيئا يميزني من غيري !

هذه الفكرة أصبحت مهمة جدا ، وان لم تكن جديدة . فقد أصبحت نقطة البحث دائما ، ولذلك نراها تبرز في صورة او أخرى في كل الافلام تقريبا . انظر الى نفسك ! فكر فيما تستطيع ان تعطيه للناس .. ما يمكنك ان تقدمه الى المجتمع . ثم اعلن بأعلى صوتك من تكون ، وماذا تريد . كن مستقلا ، كن شخصية !

هذا لا يعني ان الصفات الرئيسية لبطل الشاشة تغاير اليوم تلك التي كانت سائدة في الثلاثينات . فقد كان الإبطال النموذجيون في تلك الفترة يمثلون الزراع وعمال المناجم وسائقي الجرارات والمعاملات من

تجاهد في كبت مشاعرها وبالفعل كثير ا في انكار ذاتها . ومع ذلك فان هذه الشخصية لم تات بشيء من السعادة ، لا لها ولا لشقيقتها . فحينما رجعت الى حياتها العادية ، موزلة بسيطة ، فقدت كل ذلك الاهتمام الذي كانت تجده من حولها ، وحرمت من الإثارة العاطفية التي كانت تغذي احساسها الفنية فتجعلها تعيش في غيض من مواهبها وملكاتهما . وحينما نظرت الى نفسها لم تر اكثر من امرأة عادية كبقية النساء ، كالألات والملايين منهم ، لا يشعر بها احد ولا يلتفت اليها انسان . فكيف تشعر بالسعادة وقد اوصدت الباب في وجه الوحي الصادق التابع من طبيعتها الحية بما نهيا لها من حرية التفكير وانطلاق الاحاسيس ؟ ليتها لم تكن على شيء من المواهب ! « انت انسانة ، وجدت في هذه الحياة . والناس من حولك يسألون : من هي ، وماذا تريد ؟ فقولي لهم بأعلى صوت وأوضح بيان من انت وماذا تريدن ! .. فستريهنهم يصيحون في جذل : بلى ، ان لدينا الآن شخصية جديدة ، لم نرها قط من قبل ! » .



السبب في ان الفنانين الخلاقين يهتمون اليوم لا فقط بما يستطيع المجتمع ان يقدمه للشخص بل ايضا بما يستطيع الشخص نفسه ان يقدمه للمجتمع . انهم يهتمون لا فقط بما تقدمه الحياة للانسان بل ايضا بما يساهم به الانسان في الحياة . واذن فان اهمية وقيمة كل شخصية هي الان موضع الاهتمام .

ان ابطال الشائنة في الاتحاد السوفييتي اليوم قد جاؤوا من حياة الشعب، وهم يعودون الى تلك الحياة كغيرهم من الاحياء .. ويستطيع المرء ان يختلف مع كل منهم في رأى او آخر فهم ليسوا جميعا سواء ، غير اننا نحتاج اليوم اليهم جميعا ، وحينما نلتقي بواحد منهم على الشائنة فاننا نسأله قائلين :

« من انت ، وماذا تريد ؟ لا قل ذلك بصوت عال ، وقله بمنتهى الوضوح ! فنحن لم نلتق قط من قبل بواحد في صورتك وطبيعتك ! »

ترجمة : لطيف م. ديباطي  
عن مجلة سبوتنك السوفييتية



الممثل ايجور غلابيروف يقوم بدور المهندس فاسيلي جوبانوف في فيلم (معاصركم)

نفسه المسؤول قبل غيره عن ذلك الخطأ .

وربما كانت صورة البطل كما تمثلت في جوبانوف لم تظهر الا في السنوات الاخيرة ، وربما كان ظهورها قد جاء دالا على كثرة ما تم انجازه . بل وربما جاء دالا على تعدد المطالب الأكثر تعقيدا والاشد الصاحا التي بات يتطلع اليها الشعب .

وهنا نرى ان فاسيلي جوبانوف يمثل الانسان الذي تميز بارادة حديدية وجلد وعزم ، بل الذي تميز ايضا بذكاء خارق واطلاع واسع . فهو مهندس عبقري وهب استعدادا فطريا للبحوث الخلاقة المستقلة .

ان بطل فيلم « معاصركم » يعيش في زمنه . وليس من السهل الان ان يعيش المرء في زمنه ، بعد كل ذلك التغير الكبير الذي طرأ على المجتمع . فالظروف التي يعيش فيها العالم الان توجب عدم اعفاء الفرد من مسؤولياته ، وهي تتطلب من كل فرد ان يتحمل كل المسؤوليات عن سلوكه وعن تصرفاته . وهذا هو

الاشتراكي ؟ اهو حقا « فاسيلي جوبانوف » كما بدا في كفاحه في فيلم « معاصركم » ؟

ان جميع الاشخاص الذين كان يجب ان يتعامل معهم حينما رحل الى موسكو للقيام بمشروع صناعي كبير كانوا متفقين معه في الرأي بصورة تامة . فقد كانوا جميعا مهتمين بنمو الصناعة سريعا في البلاد . غير ان فاسيلي ، بدافع من بديهته ، عاد يفكر في الامر ، ثم اوقف العمل في ذلك المشروع الانشائي الكبير . فقد ادرك ان العملية التكنولوجية التي يراد الاعتماد عليها قد اصبحت من الطرق القديمة ، واذن فهي لن تكون ذات فائدة في بحر سنوات قليلة .

ويترنح المشروع بتأيمه ، ويذكر فاسيلي مبلغ خطورة القرار الذي اتخذ . غير انه لا يتراجع عن ذلك ، بالرغم من علمه بان ايقاف المشروع سيوقعه في متاعب ، بل وقد يعرض سمعته للخطر ، وهو المهندس الناجح اللامع . فقد ادرك ان هذا المشروع يقوم على فكرة خاطئة ، وانه هو

اعظم الناس اجرا ، وانبههم ذكرنا من لم يرض بحياة المعدل في دولته ، وظهور الحجة في سلطانه ، وابطال المنافع الى رعيته في حياته ، حتى احتال في تخليد ذلك في القابرين بعده ، عنابة بالدين ، ورجية بالرعية وكفاية لهم من ذلك ما لو عمنوا باستنباطه لكان يعرض احد الامرين اما بالاكداء عن اصابة الحق فيه لكثرة ما يعرض من الانقباس ، واما اصابة الراي بعد طول الفكر ، ومقاساة التجارب ، واستغراق كثير من الطرق الى دركه ، واسعد الرعاة من دامت سعادة الحق في ايامه وبعد وفاته وانعدامه .



# كتاب منحول ومؤلف مجهول

بقلم / الدكتور أحمد مطلوب



مع ان مؤلفه نبيه في اثرائه الى قضايا سيذكرها فيها  
بعد ولم ترد في النسخة المطبوعة باسم « نقد النثر » .  
من ذلك قوله : « واما الحديث : فهو ما يجري بين الناس  
في مخاطبتهم ومناقشتهم ومجالسهم وله وجوه كثيرة :  
منها الجد والهزل ، والسخر والجزل ، والحسن والتوبيخ  
والمحزون والفصيح ، والخطا والصواب ، والصدق  
والكذب ، والناعق والشار ، والحق والباطل ، والناقص  
والتمام ، والمردود والمقبول ، والمهم والفضول ، والبالغ  
والعبي » . ثم جاء الكلام بعد ذلك على الجد والهزل ،  
والسخر والجزل ، والحسن والتوبيخ ، والمحصون  
والفصيح ، والخطا والصواب ، ولكن القول في الخطا  
والصواب لم يتم ، ولم يات الحديث عن الصدق والكذب ،  
والوجوه الاخرى التي ذكرها المؤلف . ومن امثلة ذلك  
— ايضا — ما جاء في باب تأليف العبارة : « وقد ذكر  
الخليل وغيره من اوزان الشعر وقوافيه ما يغني من  
نظر فيها .. الا انا تذكر جملة من ذلك في باب استخراج  
المعنى تدعو الضرورة الى ذكرها فيه — ان شاء الله — »  
وليس في النسخة المطبوعة اشارة الى باب المعنى وذكر  
المعروض والتعاقبة . ومن امثلة ذلك ما جاء في اخر

التي الدكتور طه حسين في مؤثر المستشرقين  
بليدين في الحادي عشر من ايلول — سبتمبر ١٩٣١ م بحثه  
« البيان العربي من الجاحظ الى عبدالغفار » باللغة  
الفرنسية ، وقد ترجمه الاستاذ المرحوم عبد الحميد  
العبادي ونشر تمهيدا لكتاب « نقد النثر » سنة ١٣٥١ هـ  
— ١٩٣٣ م . وفي هذا البحث قرر الدكتور طه ان كتاب  
« نقد النثر » لا يمكن ان يكون لقدامة بن جعفر المتوفى  
سنة ٣٣٧ هـ ، بل هو في الغالب لكاتب شيعي ظاهر  
التشيع قد صنف كتابا عدة في الفقه وعلوم الدين . وهذا  
اول شك يلقيه اديب عربي كبير على الكتاب وان لم ينتبه  
الى النقص المبين في نسخة الاسكوريال التي اعتمد عليها  
هو وزميله العبادي عندما اخرجوا الكتاب ، مع ان مؤلفه  
ذكر ان البيان على اربعة اوجه : فمنه بيان الاشياء  
بذواتها وان لم تن بلغاتها ، ومنه البيان الذي يحصل  
في القلب عند اعمال الفكرة واللب ، ومنه البيان الذي  
هو نطق باللسان ، ومنه البيان بالكتاب الذي يبلغ من  
بعد وغاب . وقد قال الدكتور طه وزميله ان المؤلف  
ضمن الوجه الثالث من اوجه البيان الكلام على الوجه  
الرابع وهو البيان بالكتاب ولم يحصا بالنقص المبين

النسخة المطبوعة: «وإما مراتب القول ومراتب المستمعين له فقد تقدم القول فيه ، وبالله التوفيق » ، وإذا تصفحنا «نقد النثر» لم نر إشارة إلى مراتب القول أو إلى مراتب المستمعين ، مع أن هذه المسائل كلها في النسخة التي طبعتها في بغداد سنة ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ باسم «البرهان في وجوه البيان» لأبي الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب .

ومع أن الدكتور طه حسين نبه إلى أن كتاب «نقد النثر» لا يمكن أن يكون لقدامة بن جعفر ، نرى الأستاذ عبدالحيد العبادي يؤكد على أنه له ، ولكنه قبل أن يبدي رأيه في هذه المسألة ذكر أن العلامة المرحوم الشيخ محمد محمود الشنتطي عندما اطلع على الكتاب بالاسكوريال لم يشك في أنه لقدامة وكتب يقول : «كتاب نقد النثر المسمى بكتاب البيان مما عني بتأليفه أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، وهو كتاب لا نظير له في مناهج يحتاج إليه . وما وقفت عليه بالشرق ، وقد ألف كتابا آخر سماه بنقد الشعر ولكنه بالنسبة لهذا صغر جدا » . وانتهى الأستاذ العبادي بعد البحث الطويل إلى أن الكتاب لقدامة ودليله على ذلك :

أولا : أن الكتاب لا محالة قد كتب في عصر قدامة ، والدليل القاطع على ذلك أن المؤلف يصف حادثا وقع لابن التستري وشهده هو بنفسه .

ثانيا : أن الحارثة الموضوعية بين كتابي «نقد النثر» و «نقد الشعر» ترى تقاربا عجيبا في كثير من المعاني فضلا عن طريقة التعبير عنها مما يرجح أن الكاتبين صدرا من مؤلف واحد .

وقد اعترضت المرحوم العبادي أسئلة ثلاثة هي :

أولا : كيف عرف الكتاب بنقد النثر مع أن اسمه الحقيقي «البيان» ؟

ثانيا : بم يفسر عدم ذكر كتب «الحجة» و «الإيضاح» و «التعبد» و «أسرار القرآن» ضمن ما ورد من كتب قدامة في المصادر التي بأيدينا .  
ثالثا : من أبو عبدالله محمد بن أيوب المذكور على الورقة الأولى من النسخة الخطية ؟ وهل له صلة بالكتاب ؟

واجاب عن السؤال الأول بأن الاسم الحقيقي للكتاب هو من غير شك «كتاب البيان» كما جاء في الورقتين الأولى والأخيرة من نسخة الاسكوريال ، وأن غلبة اسم «نقد النثر» عليه إنما ترجع إلى محض الغلبة بينه وبين كتابه «نقد الشعر» ، وإلى أن كلام المؤلف على باب المتنور هو أطول فصول الكتاب واجودها من غير نزاع .

واجاب عن السؤال الثاني بأن نرى أن الكتب الأربعة المذكورة إما أن تكون قد ضاعت وفات المؤرخين ذكرها ، وإما أن تكون فصولا تضمنتها كتب قدامة .

وأما أبو عبدالله محمد بن أيوب فخلاصة رأي المستشرقين فيه ما يراه «دربورغ» من أنه كان تلميذا لقدامة وأنه أخذ عنه مادة الكتاب ثم تولى صياغتها . وقد تبين أن دربنورغ لم يستد رايه هذا من مصدر قديم وإنما أخذه من ظاهر العبارة الواردة في الورقة الأولى من الكتاب وهي : «كتاب نقد النثر مما عني به أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي — رضي الله عنه وأرضاه — للشيخ الفقيه المكرم نفعه الله » . وما يراه «ليني دلافيدا» من أن هذا الرجل قاض أندلسي عاش من سنة ٥٣٠ هـ إلى سنة ٦٠٨ هـ ، وأنه مؤلف كتاب «نقد النثر» وقد استعده من مصنفات قدامة .

وليس في الكتاب على الإطلاق ما يدل على أن مؤلفه أو محرره أندلسي وأن ابن أيوب هذا فقيه أندلسي انتسخ له الكتاب ، وأنه من أهل القرن السابع على أكثر تقدير . ولكن الدكتور طه حسين والأستاذ العبادي أخرجوا الكتاب باسم «نقد النثر» ولقدامة بن جعفر وطبعاه عدة مرات .

وكتب الأستاذ محمد كرد علي قائلا أن الكتاب ليس لقدامة بن جعفر وإنما هو منقول له ، ومن يتأمل عبارته يجد أنها أشبه بعبارات أهل القرن السادس والسابع . ثم قال : «وبلاغته موضع نظر فقد رأيناه في مقدمة نقد الشعر يدخل على موضوعه مباشرة وفي مقدمة نقد النثر اسجاع نادى بان الكتابين لكاتبين مختلفين في الطريقة والأداء» .

ونشر الدكتور علي حسن عبدالقادر سنة ١٩٤٩ م مقالة عن نقد النثر أو «البرهان في وجوه البيان» صحح فيها خطأ شجاع ستين طويلة ، ورد اعتبار مؤلف على اسمه الزمان . وكان هذا بعد أن عثر على نسخة جديدة كاملة من الكتاب في مكتبة تشستر بيتي في دبلن . وفي هذا البحث الجليل أثبت أورا أهمها :

أولا : أن الكتاب المطبوع باسم «نقد النثر» هو كتاب «البرهان في وجوه البيان» .

ثانيا : أن مؤلف الكتاب أبو الحسين اسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب وليس قدامة بن جعفر صاحب «نقد الشعر» .

ثالثا : أن الكتاب المطبوع باسم «نقد النثر» أقل من نصف الكتاب الأصلي بكثير .

وقد جاء بأدلة واضحة للبرهنة على ذلك سنعرض لها حينما نتحدث عن توثيق الكتاب ، وهي الأدلة التي اعتمد عليها كل من كتب عن الكتاب بعد ذلك من غير أن

يروا النسخة الاصلية منه . وبذلك كان الدكتور علي حسن عبدالقادر اول من اثبت ذلك ورد اعتبار مؤلف عفى على اسمه الزمان وطبسته الايام .  
وكتب الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي بحثا عن « نقد النثر » وشخصية مؤلفه المجهول وأكد فيه على ان الكتاب ليس لقدامة بدليل :

اولا : انه لم يذكر ان لقدامة كتابا في هذا الموضوع ثانيا : من الغريب ان يؤلف كاتب بحثين في موضوع واحد كالنقد ثم لا يحيل القاريء في احدهما على الاخر مع ان مؤلف « نقد النثر » يحيل على كتبه الاخرى كثيرا .  
ثالثا : ان شك العلماء والباحثين في نسبة الكتاب لقدامة وجزم بعضهم جزما يعتمد على الدليل بان الكتاب ليس له ، كل ذلك ينفي ان يكون الكتاب لقدامة .  
رابعا : ان شخصية قدامة شخصية المستقل في ارائه ، اما شخصية صاحب « نقد النثر » فهي شخصية المحذري لغيره .

خامسا : ان الاتجاه السياسي والديني لمؤلف « نقد النثر » هو الاتجاه الشيعي .  
سادسا : ان ثقافة قدامة ثقافة عقلية صبغت بصبغة الادب ، اما ثقافة مؤلف « نقد النثر » فهي ثقافة ادبية علمية صبغت بصبغة الفلسفة ، واتجاهه العقلي اكثر ثائرا بثقافة المتكلمين منه بثقافة الفلاسفة ، وثقافته الدينية واسعة جدا .  
سابعا : ان منهج قدامة في النقد منهج تفصيلي ، ومنهج مؤلف « نقد النثر » اجمالي خصب اتجه فيه صاحبه الى بحث الوان البيان وفنونه عامة والى بحث البلاغة وعناصرها .

ثامنا : ان اسلوب قدامة مرسل بعيد عن السجع والازدواج ، واسلوب مؤلف « نقد النثر » اسلوب اديب حريص على السجع ، فان لم يواته السجع واتاه الازدواج . والتفاوت بين الاسلوبين دليل قوي على ان الكتابين لشخصيتين مختلفتين .

واضاف الدكتور خفاجي ان الكتاب قد يكون لوالد قدامة ، والادلة التي تؤكد هذا الرأي هي :  
اولا : ان ثقافة الكتاب العلمية لا تدل على انه من معين ثقافة القرن الرابع الواسعة وانما تسدل على انه قد الف بعد عمر الجاحظ وفي اواخر القرن الثالث .  
والاعلام الواردة في الكتاب والتي لا تتجاوز ذلك التاريخ اصدق شاهد على ذلك .

ثانيا : ان الكثير من مؤلفات جعفر بن قدامة تد نسب الى ابنه قدامة خطأ ، وقد شكك بعض الباحثين في نسبة بعض كتبه وراى انها لابيه كالمطرزي شارح مقامات الحريري .

ثالثا : ان « صنعة الكتابة » التي قال الخطيب البغدادي عنها ان لجعفر مؤلفات فيها ترادف « نقد النثر » وكلمة « البيان » . وبهي امصلاحات كانت تدل في ذلك العصر على قواعد الوائد التي يضعها العلماء للكتاب ، ويفصلون لهم فيها مشاكل البيان العربي وبلاغته ويرسمون فيها الماذاهب الادبية التي يجب على الكتاب احتذاؤها .  
وذلك كله ما نراه مبسوطا في « نقد النثر » مما يسدل على انه من مؤلفات جعفر في « صنعة الكتابة » .

رابعا : ان ظاهرة التشيع التي نراها في « نقد النثر » لا تنبع الا من قلب رجل لم يخلص للدولة اخلاص قدامة ، وعاش بعيدا عن مناصبها كما عاش جعفر .

وهذه الادلة التي ساقها الدكتور خفاجي لا تثبت امام النسخة الجديدة من الكتاب ، وقد احسن حينها قرر بعد ذلك ان هذه الفكرة لا تجد الى الان الدليل المادي للموس الذي يدفعها بقوة انها هي استنتاج راه . ولكن ادلته الاولى التي اثبت فيها ان الكتاب ليس لقدامة صحيحة ويؤيدها ما تم كشفه بعد حين . ثم ذكر بعد ذلك خلاصة للمحاضرة التي نشرها الاستاذ حسن جاد وهي لا تخرج عما لخصناه ، وقال : « وبعد كتابة كل ما تقدم نشر الاستاذ الدكتور علي حسن عبدالقادر مقالة في الرسالة ذكر فيها ان الكتاب ليس لقدامة » .

وعالج الدكتور ابراهيم سلامه هذه القضية وقال ان كتاب « نقد النثر » ان لم يكن لقدامة فهو لشخص قد عرف اتجاهه واراد ان يسير فيما سار فيه او هو لشخص تقليد على قدامة وتأثر طريقته واراد ان يكتب فيها كان يريد الاستاذ ان يكتب فيه . ويجد القاريء لكتابي « نقد الشعر » و « نقد النثر » موجات ومسلمات في الاتجاه والغاية بل والاسلوب ، فمؤلف « نقد النثر » شيعي منطقي فقيه — كما لاحظ الدكتور طه حسين — فهو يذكر العبارة والمعارين في المنطق ويحاول الاستشهاد لهما بعض الاحكام الشرعية ليثبت دليلا او خبرا او تواترا او نقلا ، وهو كثير الاستشهاد بقول الائمة من رجال المذهب . وذكر ان المقارنة بين الكتابين تؤدي الى الترجيح الى ان « نقد النثر » مؤلف اخر غير مؤلف « نقد الشعر » ثم قال بعد هذه المقارنة : « هذا كله يجعلنا ان نرجح استنادا على الطريقة التقاربية ان نقد النثر مؤلف اخر غير مؤلف نقد الشعر . على ان المقارنة — مهما كانت مكانتها في الطرق والبحوث العلمية — لا تنزل منزلة الحقيقة التي توفقتنا على مخطوطة بخط المؤلف او بخط أحد من تلاميذه تحمل النص المريح الذي لا يقبل الشك على ان الكتاب لفلان او لفلان ، فلننتظر ان نتيجة البحث فيها تظهر من مخطوطات المتحف البريطاني وغيره خاصة بكتاب نقد النثر ، فمظهر هذا المخطوط يقطع الشك باليقين » .

أولا : اظهار النص الكامل من الكتاب .

ثانيا : معرفة مؤلفها ورد الاعتبار اليه بعد ان طبعته الأيام .

ثالثا : تصحيح عنوان الكتاب .

ومع ان النسخ كُتب على الصفحة الاولى من المخطوطة اسم قدامة بن جعفر غير اننا نجد اسم المؤلف الحقيقي للكتاب في مطلع البيان الرابع الذي سقط من نسخة الاسكوريال . قال : « قال ابو الحسين اسحاق ابن ابراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب : قد ذكرنا فيما تقدم من كتابنا هذا نعمة الله — عز وجل — على عباده فيما ألهمهم إياه من الكتابة ودلنا على حكمته سبحانه في ذلك ، وأنه أراد انهم منافعهم وإيجاب الحجة عليهم . فانه لولا الكتاب الذي قيد علينا اخبار من مضى من الرسل وتقبل البنا ما اتوا به من الكتب لما قاتل الله — سبحانه — حجة علينا اذ كنا لم نشاهدهم ولم نسمع حججهم ولم نعلمين آياتهم ولانقرضت العلوم والروايات بانقراض أهلها وموت من تحملها ولم يبق في ايدي الناس من ذلك ومن اخبار الماضي واثار المتقدمين الا اليسير مما تلقاه الخلف عن السلف .. »

وهذه اشارة صريحة الى نسبة كتاب « البرهان في وجوه البيان » او « نقد النثر » الى غير قدامة . وتستطيع بعد هذا التصريح ان نقيم الادلة على ذلك معتمدين على الكتاب نفسه ومستفيدين مما ذكره الدكتور علي حسن عياد القادر وغيره من الباحثين . والادلة التي نسوقها في هذا المقام تتلخص في :

أولا : ذكر المؤلف اربعة كتب له هي : « الحجة » و « الايضاح » و « التعمد » و « اسرار القرآن » واحال اليها كثيرا . وهذه ليست لقدامة وان لم نعتز عليها في المصادر المختلفة التي رجعنا اليها . ولا يمكن ان تصدر هذه الكتب الا من رجل له تضلع بالعلوم الاسلامية ، ولم تكن لقدامة هذه الثقافة الاسلامية الواسعة . ومن هنا لا يمكن ان تنسب اليه وتلقب به . ولا يمكن ان يكون « البرهان في وجوه البيان » له .

ثانيا : لم ينسب لقدامة كتاب بهذا الاسم ، وقد نسب اليه كتاب « الخراج وضمة الكتابة » . وهذا الكتاب ليس « البرهان » لاسباب كثيرة منها :

١ — ان كتاب البرهان اربعة وجوه او اربعة ابواب هي : بيان الاشياء بذواتها وان لم تبين بلغاتها ، والبيان الذي يحصل في القلب عند افعال الفكر واللب ، والبيان باللسان ، والبيان بالكتاب . وكتاب « الخراج » لقدامة تسع منازل ، قال ياقوت الحموي وهو يتحدث عن قدامة : « قال بحد من اسحاق : وله من الكتب : كتاب الخراج تسع منازل ، وكانت ثمانية فاضاف

وعالج الدكتور بدوي طبانة هذه المسألة معتبدا على ما كتبه الدكتور عبدالقادر لاته الوحيد الذي اطلع على المخطوطة الجديدة حينذاك واول من كتب عنها وأوضح حقيقة كتاب « نقد النثر » .. ثم رد الدكتور طبانة على المرحوم العبادي وفند ما ذهب اليه من وجوه التشبه بين كتاب قدامة الثابتة نسبته اليه وبين الكتاب المزعوم نقد النثر ، مبتذنا من مقارنة الدكتور سلامه طريقا له . فقد اكدني الدكتور سلامه بالمقارنة بين المؤلفين في ثلاث مسائل هي :

الاولى : تعريف الشعر

الثانية : اختلاف الهدف

الثالثة : اختلاف الاستشهاد في النص الواحد .

وذكر الدكتور طبانة اربعة وجوه هي :

الاول : تعريف الشعر

الثاني : اختلاف الاستشهاد في النص الواحد .

الثالث : الاتفاق في المصطلحات وجواز اختراع

الالفاظ ليس دليلا على ان الكتابين لمؤلف واحد .

الرابع : ذهاب صاحب « نقد الشعر » الى تفضيل

الغلو ، وذهاب صاحب « نقد النثر » الى الاعتصام

في ذلك وان كانا مقاربين في التعبير .

وقد امتازت دراسة الدكتور طبانة بالتحليل والتفصيل ، وان اتخذت من دراسة الدكتورين عبدالقادر وسلامه اساسا لها ، وكانت من اوسع الدراسات تبين ان يطبع كتاب « البرهان في وجوه البيان »

وتحدث الدكتور شوقي صيف عن كتاب « نقد النثر » وقرر ان الكتاب ليس لقدامة وانما هو لمعاصر له كشفه الدكتور عبدالقادر وبذلك خرجت المسألة من باب الشك الى باب اليقين .

قرأنا هذا قبل سنين وشغلنا بغيره حتى اتبع لنا الاتصال بمكتبة تشمستر بيتي في دبلن « ارلندة » في صيف عام ١٩٦١ م فارسلت لنا النسخة من الكتاب وقمنا بتحقيقه مع الدكتور خديجة الحديثي وطبعته لأول مرة في بغداد عام ١٩٦٧ .

وكتاب « نقد النثر » الذي شك فيه الباحثون هو كتاب « البرهان في وجوه البيان » الذي حفظته مكتبة تشمستر بيتي في دبلن . وهو في ٣٢٦ صفحة مع ان المطبوع منه باسم « نقد النثر » في ١٦٤ صفحة ، اي ان ما قدماه للدارسين عام ١٩٦٧ محققا يزيد على المطبوع بـ ١٨٢ صفحة .

والنسخة الفريدة من الكتاب جيدة الخط وتاريخ الانتهاء من كتابتها يوم الجمعة الاول من شهر ربيع الاول سنة ٦٧٧ هـ (٢٣ تموز ١٢٧٨ م) . واهميتها تتلخص في :

فيه تفصيل وتبيان وجهات النظر المختلفة في الفسء والصفة وغيرها . وتناول موضوعات لم يذكرها قدامة في كتابه « الخراج » مثل : كاتب الخط ، وما يحتاج المحرر الى استعماله ، وكاتب اللفظ وكاتب العقد والتعمية وغيرها .

وقد نقل قدامة عن ابي عبيد القاسم بن سلام ويحيى بن آدم وذكر اراء كثيرة من الفقهاء كأي حنيفة ومالك بن انس وابي يوسف وزفر وسفيان وغيرهم . ولا نجد في كتاب « البرهان » الا اشارات عابرة الى اراء اهل الحجاز واهل العراق والشيعة ، اما ابو عبيد القاسم بن سلام ويحيى بن آدم فلم يرد لهما ذكر في هذا الكتاب .

٢ — ان كتاب الخراج الف بعد سنة ٣١٦ هـ وقيل سنة ٣٢٠ هـ بدليل ان قدامة تحدث في كتابه عن ملج الارمني على انه معاصر له ، واثار الى اغارة اسفار الديلمي على قزوين في سنة ٣١٦ هـ ، وإلى الشناعات التي جرت على يد « مرداويج » واتباعه في السنين التالية بما يدل على انها حوادث قريبة الوقوع . وقال ابو حيان التوحيدي : « وما رايت احدا تناهي في وصفت النثر بجميع ما فيه وعليه غير قدامة بن جعفر في المنزلة الثالثة من كتابه . قال لنا علي بن عيسى الوزير : عرض علي قدامة كتابه سنة وعشرين وثلاثمائة واخبرته فوجدته قد بالغ واحسن وتفرد في وصف فنون البلاغة في المنزلة الثالثة بما لم يشركه فيه احد من طريق اللفظ والمعنى ، مما يدل على المختار المجتبى والمعيب المجتنب . ولقد شاركه فيه الخليل بن احمد في وضع العروض . ولكني وجدته هجين للفظ ركيك البلاغة في وصف البلاغة حتى كان ما يصفه ليس ما يعرفه وكان ما يدل به غير ما يدل عليه . » ولم يكن كتاب « البرهان » مؤلفا في هذا الوقت بدليل ورود اساء رجال ماتوا بعد هذا التاريخ كعلي بن عيسى الوزير ، قال عنه : « وقد رايت شيخنا علي بن عيسى — رحمه الله — يكتاتب ام المقتدر » ، وقد توفي الوزير سنة ٣٢٥ هـ . وكان الطبيب الذي قال عنه : « ومنه ترجمة لال مقلة » ، ولاي الحسن علي بن خلف بن طباط — رحمه الله — « ، وقد كان ابو الحسن هذا حيا في سنة ٣٣٠ هـ . يضاف الى ذلك ان المؤلف اثار الى مقتل المقتدر على يد غلامه مؤنس ، وقال : « وكان نتيجة هذا الاهمال وثيرة هذه الاعمال ان خرج السلطان في جيش على احسن زينة لقتال غلام بن غلبانه فقتل وحده من بين اهل عسكره وتفرق عنه الباقون ورجعوا موفورين » ، وقد حدث هذا سنة ٣٢٠ هـ .

وعلى هذا فان كتاب « البرهان » كتب بلا ريب بعد سنة ٣٣٥ هـ بيننا تؤكد المصادر على ان كتاب

اليه تاسعا » ، وقال : « وله كتاب في الخراج رتبته مراتب واتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب اليه وهو بن الكتب الحسان » . وقال الطرزي عن قدامة : « وله تصانيف كثيرة منها كتاب الفاظ ، وكتاب نقد الشعر ، وهو حسن للغاية طالعته ونقلت منه اشياء ، وقيل : هو لوالده جعفر . ومنها كتاب صناعة الكتابة ظفرت به وعثرت فيه على ضوال منشودة ، وهو كتاب يشتمل على سبع منازل ، وكل منزلة منها تحتوي على ابواب مختلفة ضمنها خصائص الكتاب والبلاغة ، فمن طالعته عرف غزارة فضله وتبحره في العلم » .

واذا رجعنا الى كتاب « الخراج » لقدامة وجدنا ان كتاب « البرهان » غير هذا الكتاب ، لان مؤلفه رتبته على اربعة وجوه ورتب قدامة « الخراج » على عدة منازل . وفي المنزلة الثالثة تحدث عن وجوه البلاغة وقد اشار الى ذلك في مطلع المنزلة الخامسة : « قال ابو الفرج : قد ذكرنا في المنزلة الثالثة من امر البلاغة ووجه تعلمها وتعريف الوجوه المحودة فيها والوجوه المضمومة منها ما اذا اوعي كل الكاتب واقتبس به على ما يحتاج اليه » . وذكر بعد ذلك عند الكلام على مجلس الانشاء وجوها من المكاتبات في الامور الخراجية ينتفع بها ويكون فيها تبصير لمن يروم المكاتبة في معناها . وعاد مرة اخرى فذكر وجوها منها تخص ديوان الرسائل ، ولا نجد هذا في كتاب « البرهان » . ثم قال بعد ذلك : « ما كان حافظا لما قدما فكره من ترتيب المنازل علم انا وعدنا بان نذكر من سائر الدواوين بعض كلامنا في امر ديوان الخراج والضياح . . وانا اذا فرغنا من الكلام في امر هذين الديوانين وجميع الاعمال فيها . وذلك كله بين في الدواوين وسائر اعمالها الا خواص تخص كل ديوان يحتاج الى عليها والوقوف عليها لئلا يكون الداخل غريبا بما يمر به من هذه الخواص وان كان تدرسه في اعمال الديوانين الذين ذكرناها قد يذلل له العمل في غيرها » . ومضى ذاكرة دواوين الدولة في المنزلة الخامسة وديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب في المنزلة السادسة — وهو ما طبع مع كتاب المسالك والممالك — ووجوه الاموال في المنزلة السابعة وشؤون المجتمع الانساني واسباب قوته وعوامل انحطاطه وتدهوره ونظم الحكم في البلاد وما ينبغي للحكام وما يجب عليهم في المنزلة الثامنة . وجاء في آخر هذه المنزلة : « قد تم كتاب الخراج في غرة شهر ربيع الاول في دار العلوية الاسلامية في يد اقل الخليفة بل لا شيء في الحقيقة عبدالله بن مرزا محمد الخولي . حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير » . وهذا ما لا نجده في كتاب « البرهان » يضاف الى ذلك ان صاحبه تحدث عن وجوه الاموال حديثا عابرا ليس

« الخراج » لقدامة الف قبل سنة ٣٢٠ هـ .

ثالثا : ذكر مؤلف « البرهان » أسماء اساتذته واشاد بهم وعظمهم كابي ايوب سليمان بن وهب وابي علي الحسن بن وهب وابي القاسم عبيد الله بن سليمان ابن وهب ، ولم تشر المصادر الى ان هؤلاء كانوا اساتذة لقدامة ، واغلب الظن ان ابا ايوب سليمان بن وهب الكاتب جد المؤلف .

رابعا : عالج قدامة في كتاب « نقد الشعر » الشعر وفنونه بوجه خاص وعالج صاحب البرهان الموضوعات نفسها وموضوعات اخر . ولو كان الكتابان لمؤلف واحد لما كرر كلامه في كتابين ولا حل في أحدهما على الآخر . يضاف الى ذلك ان الكلام على الموضوعات المتشابهة في الكتابين مختلف كل الاختلاف وهذا يؤيد اختلاف المؤلفين ونسبة الكتاب الى غير قدامة . وما يوضح اختلافهما في معالجة الموضوعات المتشابهة :

١ - عرف قدامة الشعر بقوله : « انه قول موزون مقفى يدل على معنى »

وقال صاحب البرهان : « الشاعر من شعر يشعر فهو شاعر .. ولا يستحق الشاعر هذا الاسم حتى يأتي بما لا يشعر به غيره . واذا كان انما استحق اسم الشاعر لما ذكرنا فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس بشاعر وان اتى بكلام موزون مقفى » . والفرق بين التعريفين كبير ، فقدامة يحده بالقيامة والوزن بينما يجعله صاحب البرهان من الشعور وليس كل من اتى بكلام موزون مقفى شاعرا ، وهذا ما يتسجم مع روح الشعر وتأثيره في النفوس لاتعريف قدامة الذي يتخذ الوزن والقافية اساسا من غير التفات الى الجانب النفسي والتأثير الكبير الذي يتركه الشعر حينما يسمع او يقرأ .

٢ - استشهد صاحب « البرهان » بآيات امرئ القيس :

**فلو ان ما اسمى لادنى معيشة  
كفاني ولم اطلب قليل من المال  
ولكنما اسمعى لجد مؤئل  
وقد يدرك المجد المؤئل امثالي**

على وضع المعاني في مواضعها التي تليق بها ، فامرؤ القيس وضع الرزمة وسو المنزل موضعها اذ كان ملكا لان ذلك يليق بالملك ، ولما قال :

**الا لا تكن ابل فعمزى  
كان قروا جلها العصي  
اذا ما قام حالها ارنست  
كان الحيصبحهم نعي  
فتبلا بيتنا اقطا وسننا  
وحسبك من غنى شع وري**

وضع القناعة موضعها لما زال عنه ملكه . واستشهد بهما قدامة على تناقض الشاعر مع نفسه في قصيدتين حينما يصف شيئا وصفا حسنا ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا ، وذلك في رايه غير منكر معيب . ولو كان الكتابان لمؤلف واحد لما اختلف في هذه الايات واستشهد بها هذا الاستشهاد الذي يدل على انه صادر من رجلين .

خامسا : ثقافة قدامة ثقافة عقلية صبغت بصيغة الادب ، وثقافة مؤلف « البرهان » ادبية علمية صبغت بالصبغة الفلسفية . يضاف الى ذلك انها ثقافة دينية واسعة دليل تأليفه كتب في اسرار القرآن والتعبير ، وبديل انه بحث في مسائل فقهية وتعرض للخلاف بين الائمة والمذاهب في كثير من المسائل والقضايا .

سادسا : اسلوب قدامة يرسل بعيد عن السجع والازدواج ، واسلوب مؤلف البرهان اسلوب اديب حريص كل الحرص على السجع فان لم يواته السجع واتاه الازدواج . ويمكن ملاحظة الفرق بين الاسلوبين فيما نقله من كتابهما ، قال قدامة في اول كتابه نقد الشعر : « العلم بالشعر ينقسم اقسامها فقسم ينسب الى علم قوانينه ومقاطعته ، وقسم ينسب الى علم غريبه ولغته ، وقسم ينسب الى علم معانيه والمقصود به ، وقسم ينسب الى علم جيده ورديته . وقد عني الناس بوضع الكتب في القسم الاول وما يليه الى الرابع عناية تامة فاستقصوا امر العروض والوزن وامر القوافي والمقاطع وامر الغريب والنحو وتكلموا في المعاني الدال عليها الشعر وما الذي يريد الشاعر .. » وقال صاحب البرهان : « ان اولي ما افتتح به اللبيب كتابه وابدا به الاديب خطابه ما افتتح الله - عز وجل - به القرآن وجعله اخر دعوى اهل الايمان والحيد لله شكرا واعترافا بمنته وصلى الله على محمد وعترته والاصياء من ذريته » . والفرق بين الاسلوبين واضح ولكن اسلوب صاحب البرهان اكثر اشراقا وغباراته اكثر وضوحا وكلماته احسن اختيارا ، بينما اسلوب قدامة يكثر فيه الناظر وتضيق به النفس وقد لاحظ القديان ذلك حينما تحدثوا عن كتابه « الخراج » .

سابعا : والى جانب ذلك كله فان مؤلف « البرهان » يميل كثيرا الى آل البيت - رضوان الله عليهم - ويعظمهم وينقل عنهم كالاتام علي بن ابي طالب والامام جعفر الصادق . ولا نجد هذا في « نقد الشعر » لان صاحبه بعيد عنه كل البعد ، وان ما يقال من ان قدامة اتجه بهذا الاتجاه بعد ان فتح معز الدولة احد ابن بويه العراق سنة ٣٣٤ هـ اي قبل وفاته بثلاث سنوات فليس عندنا ما يؤيده ، وليس من اليسر ان يتقلب اتجاهه هذا الانقلاب السريع . يضاف الى ذلك ان الباحثين لم يستطيعوا ان يعثروا على نصوص تاريخية تثبت

كتابة قدامة لبني بويه غير ما ذكره احد شراح المغابات  
الحريرية .

هذا وغيره يؤيد ان كتاب « البرهان » ليس لقدامة  
ابن جعفر وانما هو لابن الحسين اسحاق بن ابراهيم  
ابن سليمان بن وهب الكاتب كما جاء في البيان الرابع من  
الكتاب ، وكما ذكرنا من ادلة وشواهد . فمن هذا  
المؤلف المجهول ؟ لقد بحثنا عنه طويلا فلم نجد له ذكرا  
في المصادر القديمة والحديثة ، ولكننا وجدنا عائلة آل  
وهب الشهيرة في التاريخ العباسي . نجله — كما يبدو —  
من اسم « ابو ايوب سليمان بن وهب بن عمرو بن  
حصين بن قيس بن قبيل » وكان ينكر الانتساب الى  
الحارث بن كعب على اخيه الحسن وعمل ابنه ابي  
الفضل احمد بن سليمان بن وهب لشدة تعلمهم به .  
وكان قبيل كاتب ليزيد بن ابي سفيان لما ولي الشام  
ثم لمعاوية بن بعده ، ووصله معاوية بولده يزيد وفي  
ايامه مات . واستكتب يزيد ابنه قيسا ثم كتب قيس  
لمروان بن الحكم ثم لولده عبدالملك ثم لهشام بن عبدالملك  
وفي ايامه مات . واستكتب هشام ابنه الحصين ثم  
استكتبه مروان بن محمد اخر خلفاء بني امية ثم صار  
الى يزيد بن عمر بن هبيرة . ولما خرج يزيد الى ابي جعفر  
المنصور اخذ للحصين امانا فخدم المنصور ثم المهدي  
وتوفي في ايامه في طريق الري فاستكتب المهدي ابنه عمرا  
ثم كتب لخالد بن برمك ثم توفي وخلف سعيدا فما زال  
في خبة آل برمك . وتحول ولده وهب الى جعفر بن  
يحيى ثم صار بعده في جملة ذي الرياستين الفضل بن  
سهل ، وقال ذو الرياستين في حقه : « عجب لمن معه  
وهب كيف تهمة نفسه » . ثم استكتبه أخوه الحسن بن  
سهل بعده وقلده كرمان وفارس فاصلح حالها ، ثم  
وجه به الى المأمون برسالة . وكتب ابنه سليمان للمأمون  
وهو ابن اربع عشرة سنة ثم لايتاح ثم لاثناس ، وولي  
الوزارة للمهدي بالله ثم للمعتد على الله ، ونقم عليه  
الموفق بالله فحبسه فمات في حبسه سنة ٢٧٢ هـ ،  
وقيل : سنة ٢٧١ هـ ، قال الطبري : « انه توفي يوم  
الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر في حبس  
الموفق طلحة والد المعتضد » . وسليمان ولد لاسمه  
احمد بن سليمان بن وهب ابو الفضل وهو كاتب له  
شعر وقد تقلد اعبالا منها النظر في جباية الاوال توفي  
سنة ٢٨٥ هـ . وله ابن اخر هو عبيدالله بن سليمان ،  
وقد ذكره الصولي في « ادب الكتاب » عدة مرات وتوفي  
سنة ٢٨٨ هـ . ولم نعر على اسم ولده ابراهيم وخفيده  
ابي الحسين اسحاق مؤلف كتاب « البرهان » .

وكان لسليمان اخ اشتهر في الدولة العباسية هو  
الحسن بن وهب المتوفى سنة ٢٥٠ هـ . وكانت لهذه  
العائلة منزلة كبيرة في العصر العباسي فترنم الشعراء  
بمدحهم واشادوا بذكرهم وبكؤهم بكاء مرا يوم ودعوا

الحياة . وكان لابن تميم والبحري علاقة وثيقة بهذه  
العائلة ولها فيها مدائح وبرات . وقد كان صاحب  
« البرهان » شديد التعظيم والتقدير لهذه الاسرة وكثيرا  
ما كرر : « كان شيخنا ابو علي الحسن بن وهب رحمه  
الله .. » و « قال ابو ايوب — رضي الله عنه — »  
و « كان ابو ايوب — رحمه الله — رجلا مشهورا بالبلاغة  
ولو لم نتقدم من ذكر البلاغة الا بهذا القول من شيخنا  
— رحمه الله — لكنني واجزى » و « فلما تقلد شيخنا ابو  
القاسم عبيدالله بن سليمان — رحمه الله » ، وغير ذلك .  
ونقل كثيرا عن شيخه الحسن بن وهب الذي كان ملما  
بالكتابة وأمرها مطلعا عليها عارفا اسرارها .

ونقف عند هذه المسألة في الحديث عن المؤلف لان  
المصادر لا تسعفا ، ولعلنا نستطيع في المستقبل ان  
نخطو خطوات اخرى في توضيح هذه القضية الغامضة ،  
او لعل غيرنا يقدر على ان يكمل هذه الحلقة المفقودة  
ويظهر كتاب « البرهان » وصاحبه بصورة ابيه وبروق  
اسنى .

ويمكن ان نلخص ما سبق بما يأتي :  
اولا : ان الاسم الحقيقي الذي طمسته الايام هو  
« البرهان » في وجوه البيان « وليس نقد النثر . وقد جاء  
ذلك في عنوان المخطوطة التي اخرجناها ، وبما قاله  
المؤلف في المقدمة من انه يؤلف كتابا في البيان لا في نقد  
النثر وبما جاء في خاتمة الكتاب : « تم كتاب البرهان في  
وجوه البيان » .

ثانيا : ان الكتاب ليس لقدامة بن جعفر بل لمعاصر  
له هو ابو الحسين اسحاق بن ابراهيم بن سليمان بن  
وهب الكاتب .

ثالثا : ان القسم المطبوع باسم « نقد النثر »  
اقل من النصف بكثير .

رابعا : ان الكتاب ليس كتاب « الخراج وصناعة  
الكتابة » لقدامة لاختلافهما في المنهج والموضوع وسنة  
التأليف .

خامسا : ان الكتاب الف بعد سنة ٢٣٥ هـ .

سادسا : ان ثقافة مؤلف « البرهان » تختلف  
اختلافا واضحا عن ثقافة قدامة ، فهي ثقافة اسلامية  
عربية يغلب عليها الطابع الفقهي والكلالي ولم تكن لقدامة  
هذه الثقافة الاسلامية العميقة .

سابعا : ان اسلوب كتاب « البرهان » اسلوب  
جيد ليس فيه هلهلة وان كان يميل احيانا الى السجع  
والازدواج ، بينما اسلوب صاحب نقد الشعر يفتقر  
الى ذلك .

الدكتور احمد مطلوب  
جامعة الكويت



# طرف من قصة الطباعة العربية

بقلم / شعيب أحمد الدربي

تذكر هذا عن الطباعة بمناسبة السنة الدولية للكتاب هذا الذي وان كان غنى الحضارة ونورها ودمها، فالطباعة أهله ومشكاته والقلب الذي يدفع به ليتنفع .

وعلى الرغم من وجود الكتاب قبل الطباعة بقرون عديدة ، لكن لم يعم الناس النفع به ولم يقرع العلم والحكمة كل باب الى ان كانت الطباعة ، التي اصبحت معروفة انها الفن الام لكل تقدم ورقي ، فما من فرع من فروع المعرفة والفن الا اتخذ منها وسيلة وظهيرا .

وجدير بالطباعين ان يفتخروا بالحقيقة القائلة انهم قد فعل واثر اكثر من اي عامل مادي اخر في رفع مستوى الحضارة وانسانية الانسان . ولم تكن الطباعة حافظاً ووسيلة للمعارف والفنون فحسب بل انها اسهمت الى ابيه . مدى في نشر وتدعيم الحرية ذاتها ، فناريخها يحتوي قصة النضال الطويل المرير ضد الظلم والطغيان . انها السلاح الامضى في معركة الحرية وكرامة الانسان .

والطباعة كقوة مؤثرة فعالة ، ضرورية لكل جهد وتقدم انساني سواء في الثقافة ، مظهر الحضارة الروحي او في الاقتصاد ، مظهرها المادي ، اذ بدون الطباعة يتضائل انتشار اسباب الحضارة ويشيق نطاق الفنون والمعارف كافة .

حوالي العام ١٤٤٥ ، وفي مدينة ماينز الواقعة على نهر الراين ظهر اختراع على قدر عظيم من الاهمية ، بحيث قدر له ان يغير وجه العالم . فان يوهانس جنسلفيش الملقب بغوتنبرغ ، ومن مواطني مدينة ماينز ، قد اخترع الفن الذي به تستنسخ المخطوطات بواسطة مسبوكات معدنية متقلبة . هذا الاكتشاف الذي عنى ، ان المخطوطات بما حوته من معارف من شتى انحاء العالم لم تعد بعد ذلك وقفا على حلقة مميزة ، بل انها اصبحت في متناول الجنس البشري اجمع . فلا اكتشاف اميركا سنة ١٤٩٢ ولا ابتداء عصر النهضة عام ١٥١٧ ، كان له مثل هذا التأثير المباشر ، ان ثقافيا او اقتصاديا على جزء معينه من عالمنا . ايا فن الطباعة فقد كان قطعاً ذا اثر مباشر على مختلف نواحي الحياة . ومباشراً بحقبة جديدة بعد القرون الوسطى . اذ بالنسبة للإنجاز الرائع الذي اتبه غوتنبرغ كان على التاريخ ان يسلك نهجاً مغايراً . ولقد اقيم عدد كبير من النصب التذكارية تخليداً لذكرى غوتنبرغ ، واحييت احتفالات قرنية باذخة على شرفه في سنة ١٦٤٠ و ١٧٤٠ و ١٨٤٠ و ١٩٤٠ تعبيراً عن امتنان امم عديدة . وبمناسبة اليوبيل القرني الخامس لمولد غوتنبرغ سنة ١٩٠٠ ، انشيء متحف غوتنبرغ في ماينز كذكرى حية للعالم العظيم .



تقريبا . وكانت احرفها سريانية ، ثم صارت عربية واكثر مطبوعاتها دينية . ومطبعة الشوير اسمها عبدالله زاخر المتقدم ذكره طبع فيها الزاخر سنة ١٧٣٣ ، واكثر مطبوعاتها في كتب الذين المسيحي .

ثم ظهرت الطباعة في بيروت في اواسط القرن الثامن عشر ، واقدم مطابعها مطبعة القديس جاورجيوس للروم الارثوذكس ، انشئت سنة ١٧٥٣ في عهد الشيخ نقولا يونس الجبيلي المعروف بابي عسكر . وقد طبعت كثيرا من كتب الادب والتاريخ .

تليها المطبعة الاميركية للمبعوثين الاميركيين انشئت في مالطة سنة ١٨٢٢ ، ثم نقلت الى بيروت سنة ١٨٣٤ وفيها طبعت الكتب العلمية والطبية والرياضية وغيرها مما الفه او ترجمه اساتذة المدرسة الكلية لتعليم طلبةا . وطبعت بعض كتب الادب والشعر والتاريخ ، فضلا عن التوراة وكتب الدين . ولها قاعدة للحروف العربية خاصة بها تعرف بالقاعدة الاميركية اصطنعها المبعوثون الاميريون .

ثم المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين . تأسست سنة ١٨٤٨ وكانت تطبع على الحجر ، ثم صارت تطبع على الحروف سنة ١٨٥٤ ولا تزال قائمة ، ولها فضل كبير في نشر الادب والتاريخ واللغة العربية فضلا عن الكتب المدرسية والدينية ، ولا سيما التوراة ترجمة الآباء اليسوعيين . وهي اكبر المطابع العربية في لبنان وانقتها ، وفيها حروف عربية وفرنجية ويونانية وسريانية وعبرانية وارمنية . وقد صنعت قواعد للحروف العربية خاصة بها . وبعدها : المطبعة السورية ، للمرحوم خليل الخوري ، صاحب « حديقة الأخبار » . انشئت سنة ١٨٥٣ ، وقد نشرت كتبا قانونية وادبية وتاريخية . تليها مطبعة المعارف للبستاني سنة ١٨٦٧ ، نشرت محيط المحيط ، ودائرة المعارف والجنان والجنة . ومطبعة ثورات الفنون . والمطبعة الادبية لخليل سركيس انشئت سنة ١٨٧٤ ، تعني مطبعة لسان الحال .

واقدم مطبعة ظهرت في مصر مطبعة الحيلة الفرنسية . جاء بها بونابرت معه سنة ١٧٩٨ لطبع المنشورات والاوامر بالعربية ، وقد بدأوا بذلك وهم على سفنهم في عرض البحر ، وحالا وطلبت اقدامهم الاسكندرية وزعوا تلك المنشورات على المصريين .

واما الطباعة العربية بالحروف فقد ظهرت في اوائل القرن السادس عشر في ايطاليا ، واول مطبعة بالحروف العربية ظهرت في فانتو في ايطاليا بامر البابا يوليوس الثاني ، ودشنها البابا ليون العاشر سنة ١٥١٤ . واول كتاب عربي طبع عليها في تلك السنة كتاب ديني ، ثم سفر الزبور سنة ١٥١٦ ، وبعد قليل طبع القرآن الكريم في البندقية ، ثم اتلفت طبعته خوفا من تأثيره على معتقدات النصارى . لكنهم طبعوا الترجمة الايطالية الاولى للقرآن الكريم سنة ١٥٤٧ وكذلك طبع قانون ابن سينا في روما سنة ١٥٩٣ في مجلد ضخ ، وتعددت المطابع العربية في اوروبا ، وطبعت فيها مئات من الكتب العربية وغيرها ، اكثرها في لندن وباريس وليفيسك ولبدن وغوتنجن ورومية وفيينا وبرلين وبطرسبرج وغيرها .

اما في الشرق ، فاسبق الامم الى الطباعة العربية السوربيون ، لانهم اقدم من طبع الكتب العربية بالاحرف العربية في اوائل القرن الثامن عشر . اما الطباعة من حيث الفن ، فاسبق مدن الشرق الى احرارها : الاستانة ، لان الطباعة وجدت فيها في اوائل القرن السادس عشر . وقد طبعت فيها التوراة الفرنسية ترجمة سعيد الفيومي سنة ١٥٥١ بالاحرف العبرانية . اما الطباعة بالاحرف العربية فلم تدخل الاستانة الا في الثلث الاول من القرن الثامن عشر . واول من فكر في ذلك محمد جلبلي وابنه سعيد .

واسبق مدن سوريا الى هذا الفضل : حلب . فقد ظهرت الطباعة فيها في اوائل القرن الثامن عشر وطبع اول كتاب في العقد الاول من القرن المذكور وهو كتاب طقسي كتسى مطبوع باليونانية والعربية سنة ١٧٠٢ ، ثم طبع الانجيل فيها سنة ١٧٠٦ « وقد صنع امهات هذه الطبعة العربية واليونانية الشمساس عبدالله زاخر الحلبي وكان صانعا ماهرا يحب الادب والعلم » وجاء في مجلة المشرق ( ص ٦٦١ سنة ٧ ) : « ان الفضل الاول في انشاء هذه المطبعة للبطريرك اثناسيوس الرابع ، فانه استجلب ادواتها من بلاد الفلاح التي زارها سنة ١٦٩٨ ، فلما عاد الى حلب سعى في سكك حروف جديدة . » فلعله استخدم عبدالله زاخر لهذه الغاية .

ثم ظهرت المطابع في لبنان ومن اقدم مطابعه مطبعة

بمطبعة آل مؤيد وانتهى امرها اخيرا الى الاستاذ عيسى عبدالله الديره صاحب المطبعة الشرقية .

اما المطبعة الشرقية فهي ثاني مطبعة انشئت في البحرين ، استحضر صاحبها الانباء من انجلترا سنة ١٩٥٢ ، لما زاد انتعاش سوق الطباعة في البحرين نتيجة للرخاء الذي عم البلاد .

واذا انتقلنا الى الكويت لنعرف قصة اول مكتبة طباعة وجدت في الكويت ، وجدنا السيد حود مقهوي يقول : لقد احضر المرحوم عمر عاصم مكتبة صغيرة يدوية . وكان يطبع عليها في السنة مرة واحدة ، والمطبوعات كانت عبارة عن امساكية شهر رمضان ، وهذه المكتبة كانت موجودة في المدرسة المباركية . اما اول مطبعة باللعنى المفهوم الواضح احضرت الى الكويت فقد كانت المطبعة التي نكر السيدان حود مقهوي واحد البشر في احضارها الى الكويت براسمال مشترك بينهما وساعدهما في اخراج هذا التفكير الى حيز الوجود المرحوم طه السويدي الذي كان مديرا للمعارف في ذلك الوقت . .

غير ان هذه المطبعة الصغيرة لم تكن لتفي بمطالب بلاد على ابواب نهضة شاملة ، فما كان من اللجنة التنفيذية العليا الا ان اصدرت قرارا في ٣ ديسمبر ١٩٥٤ بإنشاء دائرة حكومية تتولى طبع ونشر الجريدة الرسمية وجميع المطبوعات الحكومية وسيت للجنة هذه الدائرة « دائرة المطبوعات والنشر » وعزمت على تزويدها بمطبعة حديثة .

وافتحت هذه المطبعة وهي « مطبعة حكومية الكويت » التابعة لوزارة الاعلام رسميا في ١٥ أكتوبر ١٩٥٦ واستطاعت في العام الاول من تاسيسها ان تطبع ١١٩٦٩٦٦ نسخة مطبوعة لمختلف دوائر حكومة الكويت ومؤسساتها . واستعانت في طور انشائها بخبرة الدكتور ابراهيم عبده استاذ الصحافة السابق بجامعة القاهرة . كما ارسلت الى الجمهورية العربية المتحدة نخبة من ابناء الكويت ليتقنوا الفنون المطبعية على اختلاف انواعها .

ولقد استطاعت الكويت في مدى خمس وعشرين سنة ان تلحق بركب الطباعة وان تتقدم بمطبوعاتها . وقد قارب عدد المطابع في الكويت حتى يومنا هذا نحو من ثلاثين مطبعة مزودة بمعدات وماكينات ذات مستوى رفيع .

**الكويت — شعيب احمد الدري**



وقد سبوها « المطبعة الاهلية » ومديرها مارسيل المستشرق الفرنسي ، ومعه بودوان ، وثلاثة صححين ٢٨ عملا ، في جلنتهم عدة مترجمين ، منهم اثنان اتي بهما من روما هما الياس فتح الله ويوسف مسابكي . وكان فيها ثلاثة مكابس واحرف عربية وفرنسية ويونانية فحبلت تلك المطبعة حالا الى القاهرة وبقيت عاملة الى يونيو سنة ١٨٠١ عند انسحاب الفرنسيين من مصر . واكثر ما طبعوه في هذه المطبعة منشورات كانت توزع على الاعلى ، وطبعوا ايضا كتاب هجاء عربي وتركى وفارسي ، وجريدتين فرنسيتين « كوريه ديجيت » و « دكاك اجبسيان » والاوراق المتعلقة بقضية سليمان الحلبي ، ونشرة « التنبه » وغير ذلك .

ظلت مصر بعد خروج الفرنسيين عشرين سنة بلا مطبعة . حتى استقر الامر لمحمد علي ، فافتتحت « المطبعة الاهلية » سنة ١٨٢١ وتعرف بمطبعة بولاق ، لانها وضعت اخيرا في بولاق . نشأت على انقاض مطبعة بونابرت وعهد بادارته الى نقولا مسابكي السوري ، وكان قد اتقن الطباعة في روما ، لانه سافر اليها سنة ١٨١٥ .

### الطباعة في الخليج العربي

اما قصّة المطبعة العربية في منطقة الخليج العربي فقد كانت بدايتها في البصرة حيث انشأ جلبي زاده محمد علي اول مطبعة في البصرة سنة ١٨٨٩ . وكان موظفا في دائرة الاملاك السننية . وطبع في هذه المطبعة جريدة « البصرة » باللغتين العربية والتركية ، وتولت لسان حال الولاية . ولما نقل صاحبها الى بيروت اشترت الحكومة المطبعة والجريدة .

وكان لابد للبحرين في نهضتها الحديثة من الالة التي لا يمكن ان يستغني عنها بلد متحضر . اذ كانت في ذلك اول بلد في الخليج العربي ينشئ مطبعة ، فقد اشترى شاعر الخليج عبدالله علي الزائد مطبعة من انجلترا سنة ١٩٣٨ وسماها مطبعة البحرين . قامت هذه المطبعة بطبع الاوراق الحكومية والكتب المدرسية والكراسات ودفاتر التجارة . وفي السنة الثمانية لانشائها ، اي في سنة ١٩٢٩ اصدر صاحبها جريدة اطلق عليها اسم « البحرين » . ولم يقتصر نشاط هذه المطبعة على البحرين بل تعداها الى جميع اقطار الخليج العربي . وطبيعي ان تقوم المطبعة بطبع عدة دواوين من الشعر الذي نظمها صاحبها وغيره من الشعراء . ولما توفي مؤسسها انتقلت ملكيتها الى ابنه الاستاذ علي عبدالله الزائد الذي اضاف اليها بعض الالات الطباعة الحديثة . وفي سنة ١٩٤٩ عرضت المطبعة للبيع فاشترها آل مؤيد وعرفت منذ ذلك الوقت

# الأرض لعمركم



هيفاء محمود الحبيب / البصرة



لا ينقصها الا الهجوع .. لطيفة الشكل ، ملتوية  
الطباع ، سميكة بنتهاها .. لها اطفال وزوج ، لكنها  
لا تعرف معنى الخلق ..

اينما تضي يكون الحصاد بعدها هشيا .. اينما  
تشرع في لجج ، تفيض المياه ..  
وفي يوم سالت عجوزا : « ماذا افعل حينما تطوي  
الليالي سيرة الاقدمين ؟ » واذا بالمجوز لا تدري من  
هم الاقدمون !! واحتقعا ان تجد ظل الحيرة قد امتد .  
وفي ليلة ثلجية الريح ردد الطفل الصغير : « اماء  
.. اين اجد الاقدمين ؟ »

ودعشت من حيرة الصغير .. خالجهما امل في ان  
تجد الجواب .. من غم الصغير ، فالتهمت الثغر بلثة  
جلها الخوف ..

— اي الاقدمين يا بني ؟  
— السندباد وعلاء الدين .. اماء اين ذهب الصباح ؟  
— واي مصباح ؟ اي مصباح يا بني ؟  
— ماما !! الا تعرفين مصباح علاء الدين ؟  
وتخططين اكثر فلكثر ، وودت لو انه كبير .. لو  
تهادى في الطول والنمو ، كي تهمس في اذنه بضياعا  
الكبير ...

وتظل الساقية بلا خبير .. ولا قطرة ماء !  
اجيالها في الفصل تسال : « لماذا لا نصبح  
كالأقدمين ؟ لماذا سما الامين والمومن ؟ لماذا لا يظهر  
بيننا وتنشق بطولات ؟ »

وفي بطون الكتب تكبر الاكاذيب .. وتدور دوامات  
الضياح .. بصغارها .. بصغوف من الحائرين الصغار .  
ساملت ثوبها .. واعداد من الصحف والمجلات  
تراكمت ... وازياء مجنونة .. وسلاسل وفنون ..  
ولكن لم تجد اثرا لجواب .. فاستكانت الى عبودية  
القرن .. وتضارب عليها الف لون وثوب .  
ضياح المرأة قد طال ، ولف كل ما استطاع ،  
والتهمت امانين اوربا والفنون ..

بعدها انتسحت الارض .. وانطفأ السؤال  
الصغير ، حيث مات الاب على مقعده في خدر لذيق ..  
النرد يعلو والموت يجثم .. شارب يتضخم ، وعقل  
يتفائل ولا جدوى من اسئلة تدور .

ماذا يجيب ؟ وسرح يديه على البطن الحبيب ..  
كرة لا مستقر لها من الشحوم .. ودخان لا ينقطع ..  
غلف الفؤاد بكل ضباب .

من اين للحائر بمجيب ؟  
وضاعت الارض .. وابتد ظل كبير .

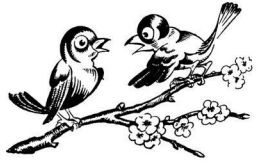
وروضك كل غصن فيه يحنو  
على لَهف ، على غصني الاجن  
و أسكرك النسيم شذى كليما  
تبسم في شجى وتري المرن !

يراعي بلبل في حلق حرف  
فأسكر بلبلين براح دني ...  
ويوم مزقت طرسي ما أبالي  
بأسوده ، هتفت : لم التجني !  
سباك السير في واحات نفسي  
شهقت لذن تبلاج فجر ظني ..  
سكبت الدمع خلف حجاب نفس  
فباح الدمع ، لكن لم تكني

عزفت بمسمعي نغمات حب  
واسمعت الكؤوس صدى واني ...  
فرشعت الياسمين وفناء عهد  
فتباح بعالي ، أرج كأني ..

خطرت أمام مرآة تثنت  
كخمر الشوق في أحلى تثن  
تلف قوامك اللاهي عيوني  
فجننت في الطروس عروس جن  
تعلق خاطري دنفا ملحا ،  
بأهداب التساؤل والتمني

على اشلأ مسجون لهيف  
سألتك ، يا بعيدة ، ان تجني ..  
أمد الصوت يحلني جريحا  
الى مغناي ، يا جرحي أعني !  
نشدت التاج مؤثلق اللاكي  
فهاك جناح شعري فاطمئني



# سكرة بلبلين

شعر/ بديع شبلي

صاحب مجلة الورود البيروتية

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ناجي الشوق شوقا يناجيه ، فشدته ، لا  
تسل كيف ، الى اقصى الديار ، بسلك رجاء  
شفيف • وغرب الشوق جوا ، كما قدم • وتروي  
هذه القصيدة بعض حكايته :

خففت على النسيم وللمني  
جواب الشوق في عينيك عني  
أطل الوجد من بسمات ورد  
يناجي العطر منك هوى ومني  
وهزك أنني وتر تمنني  
إذا جرحته وترا يغني

# الإصالة الضائعة بين الشعرونفته

جنسية . ومن الطبيعي أن مادة  
الامسية الشعرية — موضوع النقد —  
لم تكن لتعنيه . كما انه لم يكن يمتلك  
الشجاعة للتصريح باسم المقصود  
بتحليله النفسي الطريف .

ربما تكون طبيعة العمل الصحافي  
مسؤولة الى حد كبير عن ارتجال  
الراء الخاطفة السطحية المتناقضة  
أحيانا ، ذلك ان ممتن الكتابة  
الصحافية ، الذي لا يقيم كبير وزن  
للحقيقة ، مطالب بان يقدم شيئا  
— أيا كان — في موعد محدد . وعندئذ  
قد لا يجد حرجا في ارتجال القناعات  
او اصطناعها ، ما دام عامل الزمن  
لم يتح له فرصة التروي ، وتصور  
الامور كما يجب . يضاف الى ذلك  
عدم الاحساس بمسؤولية الكلمة .

ومن جهة أخرى لا بد لنقاد  
المصاحفة المحلية ان يتذكروا شيئا  
مهما ، وهو ان للشعر — كما لغره  
من الفنون — ضوابطه . والتحرر لم  
يكن في يوم اهدارا لكل الضوابط .  
والا فما هو الفرق بين الشعراء وكتبة  
استمارات الاقامة ، او طلبات الطلاق  
وحصر الارب المنتشرين حول محكمة  
الاحوال الشخصية ؟

بإستطاعة الكثيرين ان يمتلوا  
اية نصة ليقرأوا على الناس صفحات  
طويلة من المواعظ والشتائم والتوبيخ  
والتقريع المتصل — لا فرق في ان يكون

وهذا التصرف يحدث وهم  
يتناولون موضوعات عامة لا تؤدي الى  
بلاهة كاتبها . ولنا ان ننصرون من  
بعد حالهم لو انهم عرضوا للقضايا  
المصرية .

ويمد ان يرتدي الناقد البرقع  
المستعار ، او يلبسه المعنيين بكتبته ،  
يقوم بفلسفة آرائه وقناعاته المصطنعة  
لتخرج مغلفة بشيء شغاف يجهد في  
ستر خطيئاته العملية من وراءه .

فتارة يتخذ النقد صورة هندسية ،  
بحيث يكون النظر الى التصانيد  
وتقويمها من خلال نظرة خاطفة الى  
كيفية انتشار مفرداتها على الورق .  
وطورا يكتب الناقد بالتقاط بعض  
المفردات التي تسعفه على الاستطراد  
بعيدا عن موضوع القصيدة .

واحيانا يكون النقد متجها الى  
الافراد بصفاتهم الشخصية ، حيث يتم  
تصنيفهم الى قوائم . وطبيعي ان  
القناعات تكون جاهزة سلفا . وهذا  
مما يعني الناقد من الحضور  
والاستماع . ولما نقول ذلك تجارزا .  
فقد اطلق احدهم — وهو صحافي  
نكرة — مقولة خطيرة حول احدى  
الامسيات الشعرية دون ان يكلف  
نفسه جهد الاستماع الى مادتها .

اما الصحافي الاخر فقد ارتدى  
حلة « فرويد » وراح يحلل نفسية  
واحد من الشعراء من منطلقات

المن عمل مميز بما له من  
خصائص ومقومات وضوابط . ولولا  
ذلك لما جاز تمييز الفنان عن غيره ،  
ولاصبح الباب مشرعا لكل الطارقين .  
هذه احدى البديهييات التي  
لا تحتاج الى شيء من التوكيد . ولكن  
الى اي مدى يؤمن نقاد الصحافة  
المحلية بها ؟

لقد يكون امرا مسلما وممتعا ان  
يتتبع المرء تعليقات الصحف « النقدية »  
حول ما يقرأ في الامسيات الشعرية .  
فالآراء متكلفة مفتعلة طريفة ، لا تخرج  
عن دائرة معينة ، وغالبا ما تخضع  
للاعتبارات التالية :

١ — المجاملة للفئة التي يرتبط  
بها الكاتب بحكم العاطفة .

٢ — تجنب احتمالات الاصطدام  
بالفئة التي يشعر الكاتب بحساسيتها  
تجاه النقد .

٣ — استقاط الشعور بالحرر  
وكبت الحقيقة على الباتين ، الذين  
شاء الحظ وحده ان يقوموا بخارج  
الدائرتين السابقتين .

ومن الطريف ان بعض هؤلاء  
النقاد الذين يتكلمون عن الالتزام ،  
وعن دور الاديب في المعركة ، لا يملكون  
أحيانا الجرأة على التصريح باسماء  
المقصورين بتقدمهم ، واذا ما صرحوا  
باسماء هؤلاء ، فلا بد ان يلجأوا الى  
اخفاء اسمائهم هم .

## بقلم /خليفه الوقيان

والآن ، وبعد ان انتهى الموسم الثقافي لهذا العام ، وبعيدا عن اجواء الزمالة والصداقة والمجاملات ، لا بد من مراجعة منصفة لما كتب من تعليقات نقدية ، ومن ثم تقويمها بنظرة علمية مجردة . ان اي منصف ينشد الحقيقة سينتهى الى نتيجة مؤسفة ، وهي ان الحصيلة بمعظمها كانت زيدا لم ينكت منه في الارض شيء .

ونحن نعييب على ذوي المنظومات القديمة استخفافهم بالجمهور ، لا بد ان نؤكد ايضا على وجود حد فاصل بين ما يصح اعتباره شعرا ، وما لا يصح ، ايا كان الشكل . وفي ما يتصل بالنقد ، هل ثمة من حاجة الى توكيد الفرق بين الاعمال النقدية والتعليقات السطحية الخاطفة المكرورة ، التي امست البسة جاهزة تصلح لكل مناسبة ؟

ذلك على صورة منظومات قديمة ، او على شكل خطب ثورية - وباستطاعة غيرهم ان يقولوا اشياء كثيرة ليس بينها رابط موضوعي او منطقي . وشرط اتقانها على هذه الصورة اهدار العلاقات اللغوية والمعنوية الواجب توافرها ، بحيث يأتي المبتدأ ويحتجب خبره ، وبطل الفعل بلا فاعل - دون مبرر - ، وتبدأ الجملة دون ان تنتهي . وهكذا يدخل المتلقي في متاهات لا مخرج منها . ولكن هل من اليسر على كل من امتشق قلما ، او امتلك حنجرة ان يكون شاعرا يعرف ان للشعر شروطه .

ان متتبع الكتابات الصحافية المصطنعة يشعر بوجود سباق بين فئة من الشعراء والنقاد بحيث يسمى كل طرف الى ارضاء الآخر . رغبة في كسب وده .

ان الرغبة في كسب رضى هذه الفئة من النقاد تدفع كتبة الشعر الى افتعال التحرر في الشكل ، وتكلف اصطناع المضمون . وفي المقابل يجد الناقدون انفسهم في حال توجب التصفيق لكل من توهم التحرر ، حتى لا يصح اتهامهم بالجيود . وهذه ظاهرة ليست بالجديدة ، ولكن يبدو انها لم تصل الى الكويت الا مؤخرا .

وفي وسط تلك الموجة المفتعلة تبقى الاصالاة في الفن امرا يصعب البحث عنه او حوله .

ان فهم هذه الكلمة على انها تقليل من شأن التحرر في الشعر سيكون فهما سقيما ، اذ من الطبيعي ان نؤمن بحركة الشعر الحر ، وبما ابدعت ، وبما يمكن ان تبدع . ولكننا

حيث تكون الريحاح توجد زهره ،  
حيث يكون المطر البارد يوجد مرعى ،  
اليوم تشبه الخراف  
الجداول فوق المنحدر .

حيث تكون السماء الرمادية توجد قبره ،  
الذهب التنافه ... حيث يوجد شعره  
الحفء البارد .. حيث تكون يدك  
لكن الخيال البسائس  
يقع تحت شوكة .

شبحك يكون حيث يوجد وجهك  
الريحاح الحزينة تكون حيث يوجد صوتك ،  
دموع ، دموع ... حيث يوجد قلبي  
وللابد معي

طفل للابد معي ،  
حيث يكون الضمت ..  
.. يوجد الامل .

للشاعر  
الفرسي

ولتر

دولامير

ترجمة :  
منى الحلووي  
العراق

— من هنا تستطيعين ان تشاهدي كل شيء  
يا حبيبتي .. اقتربي قليلا .. اقتربي .

مشت نحوه ، وحس صارت قريبة تماما ،  
استطاعت ان ترى بوضوح المنظر الذي يراه وهما في  
اعلى الجبل .

الاصيل الجميل بخدر الكائنات جميعا . ومنظر  
الشمس وهي عند المنحدر تلقي على الدنيا شمساع  
الوداع . انه وداع جميل .. كم يشبه وداع الامس ،  
ودواع الماضي البعيد .

كان يقف في نفس المكان منذ سنوات بعيدة يرقب  
المنظر ذاته الذي لا يتغير ، كان لا يزال فتى غرا ، الدنيا  
عنده مغامرة .. ففي عصر كل يوم كان يتسلق ذراع  
حسناء وينطلقان معا بسيارته ، وينسلقان الجبل ،  
وهناك عند اعلى القمة يودعان الشمس وهي تزحف  
بحياء نحو مجهولها .

وحين تلوح الشمس بأخر شعاعها في وداع الراحة  
اليومي .. يكون هو قد ضم حسناء الى صدره ، وتحل  
الحظة الجديدة .. هي لحظة لقاء ، وفي هذا التناقض  
العجيب بين اللقاء والوداع يحس بوجوده .. ويدرك انه  
لا يزال يعيش .

وتظل اللحظة الصابئة تغرق في نشوة القبلات  
المحسومة .. والسكون يطبق عليهما باحكام ، فلا تنفج  
الشعاع عن كلمة .. عن اية كلمة .

ويبتدئ طيف جديد وثقيل يحل عليهما .. ويكون  
الظلام . فيتأبط ذراع حسنائه ثانية ويعود بها الى  
السيارة دون ان يتكلم .. يعودان والصمت رفيقهما  
هذه المرة ..

وحين يتركها عند باب منزلها ، لا يقول لها سوى  
عبارة واحدة :

— امل ان يكون الوداع مؤثرا .  
وينطلق بسيارته مسرعا ، ولا يخلف وراءه الا  
الغبار ..

...

— اقتربي يا حبيبتي .. من هنا تستطيعين ان  
تشاهدي كل شيء .

ويبتدئ قليلا وهو في اعلى القمة .. ويتدرج نزولا  
حتى يقف عند سفح شديد الانحدار ، ثم يلتفت اليها  
قائلا :

— امل .. هل انت خائفة من وداع الشمس ..  
تعالى وشاهدي هذه الروعة .. الشمس ترتخي  
بالانحسار في حضن البحر ..  
وتنهبط اليه « امل » وبسمة الإعجاب تركع في



الوداع  
حتى نهاية الطريق

أياهاك ؟.. يموت بالتدريج دون أن تستطيع أن تفعل  
من أجله شيئاً ؟  
فاجابه السؤال .

وخاف أن تتغلغل « امل » الى نفسه واعماقه دون  
أن يدري . فسمكت .

الجواب فوق شفتيه كأنه طائر طرد من عشه  
بعد أن رماه صبي أحرق بحجر .

التفت الى منزله المعشوق ، الى شمسهِ الملوحة  
بجناحيها وهي تتخبط فوق البحر كالفريق الذي لا يعرف  
العموم ، ولا تدركه النجدة ، وقال في نفسه :

— لا بد أن أقوم بالتجربة لأعرف كل شيء .  
كانت « امل » تبتسم ابتسامة من يعرف ما يدور

في نفسه الآخر .. لكنه أسرع يقول لها بارتباك :

— كلا .. كلا . لم أشاهد الموت في حياتي قط .  
فضحكت « امل » بمسوت عال وهي تقول :

— وكيف ذلك ، وانت لك هواية مراقبة الموت كل  
يوم ؟! ألم تقل لي أنك تحب منظر احتضار الشمس؟  
ها هي ذي شمسك وقد ماتت .. ابتلعها حوت كبير  
يسكن قاع البحر منذ الأزل .. انظر يا باسم .. انظر .  
بجنون هائل صاح :

— كفى .. كفى ..  
والتفت الى الخلف ، وتلمس التراب واقعدت الأرض .

وتألم وخيبتين وأحيت ولم يعد يرى شيئاً .  
لكنه بالتدريج غدا يتصور كل شيء كان بالأمس  
البعيد .

أفراح هائجة ، وأطفال صفار يسكنون ذيل الثوب  
الابيض الطويل .. وزهور تغرق قديمي المروس ،

وموسيقى رائعة تلف الجو كله بمرح حبيب . وهو نفسه ،  
بين مجموعة الأطفال يسكن ذيل ثوب اخته «بسة» .

لم يكن يدرك يومها شيئاً عن رحيل اخته الى منزل آخر .  
كانت الفرحة تملأ المنزل الكبير . والناس .. كل

الناس يبتسمون .. وفجأة ، هذا كل شيء .  
هذا كل صوت .. وماتت كل حركة . وتفجرت

الإصداة عن كآبة شديدة الصمت حين سقطت «بسة»  
عند عتبة المنزل — الذي كانت تستغادره — هادئة ،

صامتة ، وارتمى فوقها ثوبها الابيض الموشى ، وتناثرت  
عقدة الورد من يدها الى هناك ..

وماتت السمسات على كل الوجوه . وتغيرت  
اصوات الموسيقى ، وتعالى صخب جديد ، وتبدل فجأة

كل شيء ..  
ماتت «بسة» ليلة زفافها . لكنها بقيت في سر

« باسم » كالشمس ، وكرحلة الشمس الزلية ، تغيب

خشوع على شفتيها ، وحين حاذته تماها ، استندت الى  
ذراعه ، ثم مالت بجذعها قليلا الى الامام ، وهفت  
تقول :

— باسم .. انظر الى اسفل ، كأننا معلقان في  
الفضاء .

نظر « باسم » الى اسفل .. كأننا بالفعل معلقان  
على صخرة هائلة مكسورة من سفح الجبل ..

اغراه المنظر تماها ، وابتعد عن متعته الرائعة في  
وداع الشمس ، وأخذ يفكر ونفسه تصادته بهتته  
الغفوض :

— ماذا لو .. ؟ ثم الى أين سيمصل صداها وهي  
تهوي من هنا الى اسفل الوادي ؟

وتخيل « امل » ، أن هي سقطت من اعلى قمة  
الجبل الى اسفل الوادي السحيق ، انها سوف تشرق

في الغد من جديد .. كما تمل الشمس تماها .. تغيب  
في الجهول .. ثم تشرق من مجهول آخر .

وتفتنت تحت اقدام « امل » ذرات من التراب ..  
ثم انزلق تحت قدمها حجر صغير تدرج نجاة ، فارتدت

« امل » الى الخلف في ذعر شديد .. وظل الحجر يتدحرج  
ويرتطم وهو يسقط ، حتى انتهى عند اسفل الوادي

دون أن تقوى عين على متابعة سقوطه ..  
كانت « امل » ترتجف كهرة خائفة وهي تسكور

في صدر « باسم » الذي عاد الى حبيبته ونفسه وهو  
ينابع مهوى الحجر في طريق السقوط

— لمست سوى لحظة شجاعة قصيرة .. وبعدها  
ينحدر تحت تدبيها هذا الحجر المكسور عن الصخرة

الكبيرة . وابتعد هو خوفاً وذعرا ، في حين لا تجد  
امل لنفسها ممسكا ، فتسقط وتهوي نزولا ، تسابق

الحجر الذي انحدر قبل قليل .  
وفجأة ينتفض « باسم » مرتعدا ، وكأنه هو

الذي سقط . حين تقول له « امل » :

— باسم .. هل سبق لك ان رايت انسانا يموت

بملم  
عدنان  
الدعوت





## بريد البيان

● الأخ محمد محسن الفايدي — الطائف — السعودية  
شكرا لما ورد في رسالتك . ونحن نرحب بكتابات  
الاخوة العرب دائما .

●●

● الصديق فواز الجابر — السالمة — الكويت  
بعث الى المجلة غنبا قاسيا لاننا قلنا في بريد  
العدد الماضي ان قصيدته مضطربة الاوزان . يقول  
الصديق فواز :  
لا ادعي اني « شاعرا » . ولكن اقول انها ليست  
المرّة الاولى التي انشر فيها مقالا او خاطرة شعرية .  
اقول هذا لاني اعتقد جازما ان اسم المؤلف يلعب  
دورا لدى اللجنة .  
اعيد كتابة القصيدة ، لا الحاحا لنشرها . ولا  
توسلا . لانه لا ادعي لذلك . اذن فهو موضوع التوصل  
بنفي من اساسه . وانما اكتبها فقط لتتنبؤوا صدق ما  
زعمت وانك ما رايتهم .. ثم يعيد الصديق كتابة  
قصيدته المذكورة . وهي :  
زورينا .. اتاجبك .

من دنيا الجنون

من عالم المادة والجنون .

وانا واجم مفتون .

والقوم امامي الى .. مطعون .

كل يوم لي وابيك لقاء .

لقاء مر في دنيا الشقاء

لا ان ابوح .. فاصمت كبرياء

وجلّي فقط ان تبوح العيون .

عن عشتروت — عن عصن زيتون

عن صرعي — عن ادمي ، عن الشجون

ابحث عن هذا بهاتيك العيون .

انا مارد جبار .. انا شمشون ،

لهني على نفسي . لا زالت تقتلني الجفون .

انور ثورة الطاعني وارغي بالثرير

وان هدات .. فارس الحلم خير .

نمضغ الدنيا . ونضفنا بين شهيق وزفير

حياتي حلم عابر .

والمستقر الابد فقط المسون .

— فواز الجابر —



البيان  
مضى نهاية الطريق

كل مساء ، وتعود مع كل صباح .

●●●

ايقلته « امل » ، وهي ترتجف ، وقالت له بسذاجة  
طفولية :

— لم يكن قصدي ان ازعجك ابدا . اني اسففة  
يا حبيبي .

نهض من مكانه ، وقبل ان ينفض عن عينيه بقايا  
الدموع ، قال لها :

— لكل حياة نهاية .. ولكن النهاية بالنسبة الي  
هي البداية الجديدة .. ارجوك كفى .. وهيا نعود .

ركبا السيارة . وجلس خلف المقود بتمهل كثير ،  
والتي من النافذة نظرة وداع اخيرة .

كانت الشمس كلها قد غابت في البحر ، لم يبق  
منها الا اشعاع ينبئ عن انها كانت من قبل هنا .. او

هنا .. او هنا .  
وابندات عجالات الزمن تدور .. وعجلات

السيارة تتدرج في الطريق .  
لم يكن يرى امامه شيئا ..

لقد صرعت حواسه الموسيقى . والصخب بدا  
يلف كل شيء .. حتى غدا الضجيج هائلا ، ولح باتات

الورد تنفشر امامه وتمتد على طول الطريق ، والثوب  
الابيض الوشي يمتد ويغطي الطريق .

ثم فجأة يتغير كل شيء ..  
وتنتجر الاصداء عن كآبة شديدة الصمت . صمت

ازلي طويل .. وترتخي البدان من فوق المقود .. وتتحدر  
السيارة كأنها ذرة تراب في مهب الريح .

وتصبح « امل » :  
— باسم . انتبه . اننا نتحدر الى النهاية ..

لكن البسمة كانت مرسومة ، تلك اللحظة ، على  
شفتي « باسم » بانفكان مريع ، لم يكن يرى التحذار ..

ولا هو يحس بالسقوط .. فقد كان يرى الطريق امامه  
بوضوح وقد افترشت بورد ابيض .. وذيل الثوب

الابيض الطويل يمتد بعيدا بعيدا .. حتى ما وراء  
المنحدر ..